موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس ودورهم في العصر المريني (٦٤٦-٨٦٩هـ/١٢٤٨-١٤٦٥م)

د/ إبراهيم السيد شحاتة(*)

المستخلص:

اهتمَّ بنو مَرين بأمر المساجد، واعتبروا القيام بها ركنًا من أركان الدين، ومن هذا المنطلق اهتمَّ المرينيُّون بتحسين البنية التحتيَّة للمساجد وتزويدها بكل ما يلزم لأداء دورها على أكمل وجه، وقاموا ببناء مساجد جديدة، وقاموا بحثِّ الناس على حضور صلاة الجماعة في تلك المساجد. وقد ظهر هذا واضحًا في مدينة فاس التي اتخذوها عاصمة لدولتهم، وأعادوا لها مجدها الحضاري الذي كانت عليه إبَّان حكم الأدارسة، حتى بدت المساجد فيها وكأنها مؤسسات كبرى لها أنظمة محددة ووظائف خاصة بها، فقد اهتمَّ المرينيون بإنشاء نظام إداري متكامل لإدارة المساجد، حيث كان لكلِّ مسجد مجموعة من الموظفين المسؤولين عن شؤونه المختلفة، فهناك وظائف خاصة بإقامة الشعائر الدينية، ووظائف إدارية خاصة بالإدارة المالية والنظافة والإضاءة وغيرها، ووظائف علمية. وكان لكل نوع من هذه الوظائف موظفون يقومون بمهامها.

وهذا البحث يسلِّطُ الضوء على موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس منذ سيطرة المرينيين عليها سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨هـ) وحتى سقوط الدولة المرينية سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٥م)، وهم: الإمام، والخطيب، والمؤذن، والميقاتي، بالإضافة إلى إبراز دورهم السياسي والإداري والاجتماعي والعلمي في العصر المريني.

الكلمات المفتاحية: موظفو؛ الشعائر الدينية؛ مساجد فاس؛ العصر المريني.

(*) المدرس بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

Abstract:

The Marinids paid great attention to mosques, considering their upkeep a pillar of the faith. From this perspective, the Marinids focused on improving the infrastructure of mosques and providing them with everything necessary to fulfill their role perfectly. They built new mosques and encouraged people to attend congregational prayers in these mosques. This was particularly evident in the city of Fez, which they made the capital of their state, restoring its cultural glory as it was during the Idrisid rule. The mosques in Fez appeared as major institutions with specific systems and functions. The Marinids established a comprehensive administrative system for managing mosques, with each mosque having a group of employees responsible for various affairs. There were positions dedicated to religious rituals, administrative roles for financial management, cleanliness, lighting, and other functions, as well as academic roles. Each type of role had employees who performed its tasks.

This research highlights the employees responsible for religious rituals in the mosques of Fez from the Marinid takeover in 646 AH / 1248 CE until the fall of the Marinid state in 869 AH / 1465 CE. These employees included the imam, the preacher, the muezzin, and the timekeeper. The study also emphasizes their political, administrative, social, and academic roles during the Marinid era.

key words: Employees, religious rituals, mosques of Fes, the Marinid era.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛

فقد اندلعت حروب كثيرة بين بني مرين[١] والموحدين بداية من سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)[٢]، أدَّت إلى انتقال التبعيّة السياسية لمدينة فاس[٣] من الموحدين إلى بني مرين منذ سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)[٤] التي ذكر ابن أبي زرع أنَّه في آخر شهر ربيع الأوَّل منها "مَلَكَ الأمير أبو بكر[٥] مدينة فاس، ودخلها صلحًا عن رضا من أهلها، فبعث إليه أشياخها، فأتاهم، فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة"[٦]، ثمَّ تمكَّن أخوه الأمير يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) من القضاء رسميًّا على الموحدين في بلاد المغرب والاستيلاء على عاصمتهم مدينة مرَّاكُش سنة (٦٨٨هـ/١٢٦٩هـ). وعندما استقرّتْ له الأوضاع في المغرب الأقصى اتخذَ مدينة فاس عاصمة له، وفي عام (٦٧٤هـ/١٢٧٦م) أسَّسَ مدينة جديدة على مقربة منها، لتنقسم بذلك مدينةُ فاس إلى قسمين؛ فاس البالي أو القديمة التي أسسها الأدارسة والتي كانت مركزًا للعلم والتجارة، وفاس الجديد (أو العليا أو البيضاء) التي يستقر بها السلطان المريني مع أسرته وأعيانه[٧].

وقد اهتمَّ بنو مرين بأمر المساجد وخاصة في مدينة فاس[٨]، فإذا كان المؤرخون يحدثوننا عن عدد كبير من المساجد في تلك المدينة في عصري المرابطين والموحدين[٩] رغم أنها لم تكن العاصمة[١٠]، فما بالنا بعدد المساجد فيها في عصر بني مرين الذين أعادوا للمدينة مجدَها الإداري باتخاذها عاصمة لدولتهم، خاصة أنهم اعتبروا "القيام بالمساجد ركنًا من أركان الدين"[١١]، وجعلوا المساجد بيئة مريحة وجاذبة للمصلين، وقام سلاطينُهم بحثِّ الناس على أداء الصلاة فيها، مصداق ذلك أنَّهم استحدثوا وظيفة (صاحب الصلاة) التي يتولَّى صاحبُها مسؤولية حثِّ الناس على إقامة الصلاة في أوقاتها وحضور صلاة الجماعة في المساجد[١٢]، وكان مِمَّن تولَّوا هذه الوظيفة أبو المكارم منديل بن زَنْبَق الذي كان يحثُّ الناس ويحرِّضهم على الصلاة في أوقاتها، ويضرب عليها

بالسِّياط والمقارع بأمر السلطان أبي عِنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م)[١٣]. ومن قبله قام السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) ببناء دار لسكنى الشيوخ المسنين الملازمين للصلوات في جامع الأندلس وجعل لها أحباسًا للإنفاق عليها[١٤].

ومن هذا المنطلق شيَّد بنو مرين عددًا من المساجد في مدينة فاس البالية[١٥]، وفي مقدمتها جامع جزاء ابن برقوقة، وجامع السمَّارين، اللذان أمر ببنائهما السلطان أبو سعيد عثمان المريني (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)[١٦]، وكذلك الجامع الذي شيده السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) في عدوة القرويين سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٢م)[١٧]. وعندما شرعوا في بناء مدينة فاس الجديد كان أوَّل ما اهتموا به بعد الانتهاء من بناء سورها هو بناء الجامع الكبير بها في شهر رمضان سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، والذي يُنسب إلى مؤسسه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)[١٨]، كما شيَّد السلطان أبو عِنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) جامع الزهر سنة (٧٥٩هـ/١٣٥٨م) [١٩]، بالإضافة إلى جامع الحمراء الذي شيَّده في قلب المدينة بعد ذلك[٢٠]، كما شيَّد حاجب السلطان المريني أبي سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٨-١٤٢٠م)، وهو عبدالله الطريفي، مسجدَ السوق الكبير[٢١] سنة (٨١٠هـ/١٤٠٨م)[٢٢].

وعندما زاد عدد سكان فاس بعد توالي الهجرات الوافدة عليها[٢٣]، وصَعُبَ على الناس التكدُّس في الجوامع والمساجد الكائنة فيها؛ قام الحكَّام والعامة بتشييد عدد من مساجد الفروض والزوايا[٢٤] في قرى فاس وباديتها[٢٥]، الأمر الذي دفعَ ابن الوزان لأنْ يذكرَ أنَّ المدينة ضمَّت "قرابة ستمائة جامع أو مسجد"[٢٦]، حيث انتشرت المساجد في أرجائها المختلفة وعند أبوابها[٢٧]، هذا فضلًا عن المساجد التي كانت تضمُّها المدارس والزوايا التي بناها بنو مرين لأداء الصلوات[٢٨].

ومن المعلوم أنَّ وظائف المساجد في فاس عصر بني مرين يمكن تقسيمُها على ثلاث فئات: الفئة الأولى هي الوظائف الخاصة بإقامة الشعائر الدينية[٢٩]،

والفئة الثانية هي الوظائف الإدارية[٣٠]، والفئة الثالثة هي الوظائف العلمية [٣١]. وكان لكل فئة من هذه الوظائف موظفون يقومون بمهامها.

وهذا البحث يسلِّطُ ضوءًا كاشفًا على موظفي الفئة الأولى فقط، وهم موظفو إقامة الشعائر الدينية في مدينة فاس منذ سيطرة بني مرين عليها سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، وحتى نهاية الدولة المرينية سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٥م)، وهي: وظيفة الإمام، ووظيفة الخطيب، ووظيفة المؤذِّن، ووظيفة الميقاتي، خاصة وأنَّ هذه الوظائف لم تحظ بالاهتمام المناسب من الباحثين المتخصصين، باستثناء بعض المعلومات القليلة والمتناثرة في بعض الدراسات التي تحدَّثت عن الأوقاف في ذلك العصر بشكل عام[٣٢].

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل للأحداث، وجمع المادة العلمية وتوثيقها من مصادرها الرئيسة، ثمَّ دراستها بصورة تحليليَّة للوصول إلى الحقيقة التاريخيَّة، بهدف تقديم رؤية متكاملة عن طبيعة هذه الوظائف، وما ارتبط بها من أمور إدارية مختلفة، ودور أصحابها السياسي والإداري والاجتماعي والعلمي.

المبحث الأول

موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في عصر بني مرين والمزايا التي تمتعوا بها

المطلب الأول: الإمام والخطيب وسياسات التولية والعزل والإنابة.

إنَّ وظيفتي الإمامة والخطابة من الوظائف الدينية المهمة، فلا يتولاهما إلا كبار العلماء وأصحاب المكانة العليا في الدولة[٣٣]، وكان لكلِّ جامع أو مسجد إمام[٣٤] تمثَّلت مهمته الرئيسة في "إقامة الصلاة والإمامة بالمصلين"[٣٥]، فقد ذكر أحدُ الأبناء أنَّ أباه كان مؤذنًا بجامع القرويين، وأنَّه كان يذهب معه إلى الجامع، فيؤذِّن أبوه، ثمَّ يجلسان ينتظران خروج الإمام محمد بن إبراهيم بن عبَّاد الرُّنْدِي (ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م) [٣٦] للإقامة[٣٧]. وتدلنا نازلة عُرِضَت على الفقيه الفاسي عبدالله العبدوسي (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) أنَّ عادة إقامة الأئمة في معظم المساجد الموجودة في المدارس التي بناها بنو مرين كانت في صلاتي الظهر والعصر خاصة[٣٨].

وكانت المهمة الرئيسة للخطيب تتمثَّل في الخطابة في المساجد الجامعة التي كانت تُقَام فيها صلاة الجمعة[٣٩]، كما كان يتولَّى الخطابة في صلاة العيدين[٤٠]، وكان أوَّلُ مَنْ خطب بالجامع الكبير في مدينة فاس الجديد في العصر المريني هو الفقيه المحدث محمد بن أبي زرع سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٩م)، ثمَّ تمَّ عمل المنبر المخصَّص للخطبة في الجامع المذكور في أول جمعة من شهر رمضان من سنة (٦٧٨هـ/١٢٨٠م)[٤١]. وقد اشتهرت بعض بيوتات فاس بكثرة الخطباء، وفي مقدمتها بيت بني مُسُونَة من بني يَفْرُن، الذي كان منه بجامع القرويين ما زاد عن العشرين خطيبًا[٤٢]. وكثيرًا ما كان الابن يخلف أباه في وظيفة الإمامة أو الخطابة أو كليهما معًا[٤٣].

وكان معظم أئمة جوامع فاس وخطبائها من أهل الورع والصلاح والتواضع والاهتمام بمصالح المسلمين[٤٤]، فقد كان إمام الجامع الأعظم بفاس وخطيبه يوسف بن عمر الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩) "إذا جنَّ الليل؛ يخرج من داره التي

يسكنها فينظِّف الجامع، وينظر في مصالحه، ويباشر ذلك بنفسه قربة لله عز وجل"(٤٥).

وعلى الرغم من أنَّه كان لكلٍّ من الوظيفتين (الإمامة، والخطابة) مهام خاصة كما تقدَّم؛ فإنَّه كثيرًا ما كان يتمُّ الجمعُ بينهما؛ بمعنى أنْ يتولاهما شخصٌ واحد(٤٦)، مثلما حدث مع الفقيه محمد بن عبد الرحمن الخَزْرَجِي الذي تولَّى الخطبة والإمامة معا بجامع القرويين إلى وفاته سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)(٤٧)، وكذلك الفقيه يحيى المَزْدَغِي الذي كان خطيبًا لجامع القرويين منذ سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤) ثمَّ أسندت له بعد ذلك وظيفة إمامة الجامع نفسه، فظلَّ خطيبًا وإمامًا له حتى وفاته في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) (٤٨)، وكذلك الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبَّاد الرُّنْدِي الذي كان إمام جامع القرويين وخطيبه مدَّة خمس عشرة سنة إلى أنْ توفي سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) (٤٩)، وكذلك الفقيه علي بن عبدالرحمن الأنفاسي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م) الذي "كان خطيبًا وإمامًا بجامع الأندلس"(٥٠).

وكان لخطباء المساجد بفاس في العصر المريني زيٌّ خاص بهم، يقول أحد الباحثين :"وإلى العهد المريني يرجع أصل ترسيخ لبس الخطيب لكساء من الصوف الأبيض، ثمَّ فوقه البرنس(٥١) الأبيض أيضًا، واستمرَّ هذا التقليد إلى يومنا هذا، مع حلول الجلابية البيضاء محل الكساء"(٥٢). ويظهرُ أنَّ الخطباء كانُوا يحرصون على ارتداء هذا الزي، فقد روي أنَّ خطيب جامع الأندلس عمر بن محمد الرجراجي (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) خطب جمعة من غير أن يغيّرَ ثيابه، فقام -بسبب ذلك- باعتزال الخطابة بشكل نهائي(٥٣). وفي هذا المنحى كان بعض الأئمة والخطباء يحرصون على الذهاب إلى المسجد في أبهى صورة، ومنهم إمام جامع القرويين وخطيبه محمد بن إبراهيم بن عبَّاد النَّفْزِي (ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م) الذي كان يحرصُ على ارتداء الثياب الرفيعة عند خروجه للجامع، ويستعمل الطيب الكثير(٥٤)، حتَّى حُكِيَ أنَّ السلطانَ أراد أنْ يضاهيه في ذلك فلم يفلح، وحُكِيَ أيضًا أنَّ الناس كانوا يعرفون دخوله الجامع أو خروجه لإقامة الصلاة من خلال رائحته المميزة(٥٥).

وقد اعتاد بعض الأئمة والخطباء على قراءة سُوَرٍ بعينها، وعلى نوع محدد من الخُطَب في صلاة الجمعة، ومنهم الإمام والخطيب السابق الذي كان أكثر قراءته في صلاة الجمعة سورة (النصر) وأكثر خطبه وعظ[٥٦]،بينما كان الخطيب محمد بن عبد العزيز التَّازْغَدْرِي (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م) يفاضل كثيرًا بين الأنبياء في خُطَبِه بالجامع الكبير في مدينة فاس الجديد، الأمر الذي نتجَ عنه أنْ مات مقتولًا غدرًا؛ لجري العادة بقتل مَن يفاضل بين الأنبياء في العصر المريني، ولم يُعرَف قاتله[٥٧]. أمَّا إمام جامع القرويين أبو الربيع سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، فقد "فرَّ من الإمامة، وانقطع لنفسه"، وكان السبب في ذلك "أنَّ بعض مَنْ صلَّى خلفه قال له: سمعتك نوَّنْتَ ميم السلام عليكم، فقال: بل قلت بضمة واحدة، وأشهدكم أنِّي تبت من هذه الإمامة"، وإزاء ذلك نازعه كثيرٌ من أصحابه؛ لأنهم اعتبروا اعتزاله الإمامة فرارًا من الطاعة[٥٨].

- **تعيين الأئمة والخطباء:**

كان تعيين أئمة مساجد فاس وخطبائها في العصر المريني يتمُّ وفق طريقتين، هما:

(١) الطريقة الرسميَّة:

ويُقْصَدُ بها أنْ يأتي ظهيرٌ (مرسوم) من السلطان المريني فيه نصٌّ على اسم الإمام أو الخطيب المُعيَّن[٥٩]، مثلما حدث عندما وصل ظهير من قبل السلطان يوسف المريني (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٧م) بتعيين الشيخ محمد بن أبي الصبر بن يَنْكُول خطيبًا لجامع القرويين، وكذلك الفقيه المحدث أحمد بن راشد العمراني إمامًا له في سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠) [٦٠]، كما تمَّ تعيين الفقيه المحدث الصالح يحيى بن محمد المزدغي خطيبًا لجامع القرويين بناءً على ظهيرٍ جاء من السلطان يوسف أيضًا [٦١].

وعندما توفي خطيب جامع القرويين محمد بن يحيى بن محمد المزدغي سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) عيَّن مكانه السلطان السابق الخطيبَ عبد الله بن محمَّد الجنياري[٦٢]، وعندما توفي سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) [٦٣] عيَّن مكانه السلطان أبو عِنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٥١-١٣٥٨م) الوليَّ الصالح يوسف بن عمر

الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م)[٦٤]، وذلك بعد استخارةٍ ونظرٍ في الأصلح للمسلمين لتولي هذه الوظيفة، غيرَ أنَّ يوسف هذا أبدى للسلطان أعذارًا تمنعه من قبول الوظيفة، فلم يقبلها منه السلطان؛ لأنَّه وجد أنَّ المصلحة الدينية التي ستتحقق من توليّه إيَّاها تُغَلَّب على أعذاره التي أبداها، فاضطرَّ يوسفُ في النهاية إلى الموافقة على تولّي مهام وظيفة الخطابة[٦٥].

وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على اهتمام هذا السلطان بالوظائف الدينية بشكل عام، وبالوظائف الخاصة بإقامة الشعائر الدينية في المساجد بشكل خاص؛ ولذا فقد تفاعل الناس بالإيجاب مع صدور قرار تعيين الخطيب المذكور، حيث فرحوا بتقديم السلطان له، وأعربوا للسلطان عن شكرهم له على اعتنائه بالأمور الدينية[٦٦].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ التدقيق في اختيار الإمام أو الخطيب لم يقتصر على السلطان أبي عنان فقط، فقد اهتم معظم سلاطين بني مرين باختيار الإمام والخطيب وفقًا لشروط معيَّنة، كأنْ يكون من أهل الورع والصلاح[٦٧]، وممَّن يتمتَّعون بسيرة طيبة عند الخاصة والعامة[٦٨]، ومن أئمة عصره في علم الأصول والاعتقادات، ومن المحدِّثين الكبار[٦٩]، ومن العلماء في أصول الفقه والدين، ومِمَّن لهم بَصَرٌ بمعرفة اللسان والتصرُّف في العلوم العقلية والنقلية[٧٠]، فضلًا عن الفصاحة والبلاغة وبخاصة فيمن سيتولَّى وظيفة الخطابة[٧١].

وفي هذا الصدد صادفنا في المصادر نصًّا بالغ الأهمية يكشف عن سياسة سلاطين بني مرين في اختيار الأئمة والخطباء، هذا النصُّ جاء في ثنايا حديث ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) عن السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)، حيث قال على لسانه :"أوصى جَدُّنا عبد الحق رضي الله عنه بوصيّة التزمناها، وهي أنَّ ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة، وهم: صاحب القصبة[٧٢]، وصاحب الشرطة، والوالي. وثلاثة المرجعُ فيهم للرعية، وهم: إمام الصلاة والخطبة، والقاضي، والمحتسب"[٧٣].

إنَّ أهمية النص السابق تكمن في أنه يكشف عن السياسة التي تبناها بنو مرين في اختيار أصحاب الوظائف الدينية، وفي مقدمتها وظيفتا الإمامة

والخطابة، وهي سياسة تقوم في المقام الأوَّل على مشاركة الرعية للحاكم في اختيار أصحاب هذه الوظائف، وأنَّ هذه السياسة عبارة عن وصيَّة أوصى بها مؤسس دولة بني مرين، وهو الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة (٥٩١- ٦١٤هـ/١١٩٥- ١٢١٦م)، الذي وصفه المؤرخون بأوصاف حسنة في الإدارة وفي معاملة الرعيَّة[٧٤].

وفي هذا المنحى كان السلاطين يصدرون قرارًا بتعيين الأئمة للمساجد الموجودة في المدارس فور الانتهاء من بنائها، مثلما فعل السلطان أبو سعيد عثمان (٧١٠- ٧٣١هـ/١٣١٠- ١٣٣١م) عندما شيَّد مدرسة الحلفاويين بالقرب من جامع القرويين بفاس القديمة سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) وعيَّن فيها إمامًا [٧٥]، ومثلما فعل أيضًا عندما أتمَّ بناء مدرسة العطارين بمنطقة القرويين بفاس القديمة سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) وعيَّن فيها إمامًا[٧٦].والشيء نفسُه كان يتمُّ في المساجد التي حوتها بعض الزوايا التي بناها بنو مرين، فعندما انتهى السلطان أبو عنان من بناء الزاوية المتوكلية[٧٧] في الجهة الشمالية الغربية من مدينة فاس الجديد سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) قام بتعيين إمامٍ للمسجد الموجود فيها[٧٨]. بينما كان هؤلاء السلاطين يقتصرون في تعيين الخطباء على مساجد المدارس التي كانت تُقام فيها صلاة الجمعة فقط، ومنها المسجد الموجود في المدرسة البوعِنانية، التي بناها السلطان المريني أبو عِنان (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، والذي كان رابعَ مسجد بفاس تُقام فيه صلاة الجمعة، بعد: القرويين، والأندلس، وفاس الجديد[٧٩].

(٢) الطريقة غير الرسميَّة:

كان يتمُّ اللجوء إليها عندما يتأخَّر وصول الظهير السلطاني الذي ينصُّ على اسم الإمام أو الخطيب المُعيَّن، ومن مظاهرها أنْ يَطلب الناسُ مِنْ شيخٍ معروف يتصف بالصلاح أنْ يختار لهم إمامًا أو خطيبًا، مثلما فعلَ أهلُ عدوة القرويين عندما طلبوا من الشيخ عبد الله الفَشتالي (ت٦٥٢هـ/١٢٥٤م) أنْ يختار لهم إمامًا وخطيبًا، فوعدهم أنْ يستخيرَ الله تعالى فيمن يصلح لذلك، فرأى في المنام الرسول صلى الله عليه وسلَّم يشير عليه بعلي بن الحاج (ت٦٥٣هـ/١٢٥٥م)، فلمَّا جاءُوه

في الصباح نصحهم به، فكان هو الإمام والخطيب في نفس الوقت(٨٠)، أو أنْ يقومَ إمامُ المسجد وخطيبُه بترشيح ابنِه الفقيه لتوليّ إحدى الوظيفتين، على أنْ يقتصرَ هو على واحدة منهما، مثلما فعل الإمام والخطيب محمد بن يوسف المزدغي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، الذي قدَّم ولده الفقيه محمد للخطابة بمسجد القرويين، واقتصرَ هو على الإمامة، فخطب ولدُه المذكور عوضًا عنه(٨١).

وأحيانًا كان فقهاء فاس وأشياخها يقومون بتقديم الإمام أو الخطيب مثلما حدث في النصف الثاني من القرن (السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي) عندما توفي خطيب جامع القرويين محمد بن زيادة الله المدني وكذلك إمامه علي بن حَمَد، حيث قام فقهاء المدينة وأشياخها بتقديم الشيخ الفقيه أبي القاسم بن مُسُونة ليكون خطيبًا للجامع، كما قاموا بتقديم الشيخ الفقيه القارئ المتقن أحمد بن أبي زرع(٨٢) ليكون إمامًا للجامع (٨٣)، وقد استمر هذا الوضع حوالي سبعين يومًا حتى وصل ظهيرٌ كريم من السلطان يوسف المريني (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٧م) بتقديم الشيخ محمد بن أبي الصبر أيوب خطيبًا للجامع، وتقديم الفقيه المحدث الأصولي أحمد بن راشد العمراني إمامًا له، وذلك في سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)(٨٤).

وهكذا كان يتمُّ الاعتماد على هذه الطرق غير الرسمية في اختيار الإمام أو الخطيب عندما يتأخَّر وصول ظهير التعيين من قِبَلِ السلطان المريني، ثمَّ عندما يصل هذا الظهير، يقومُ الإمام أو الخطيب المُعَيَّن بتولي مهام وظيفته رسميًّا، ويتنحَّى مَنْ قُدِّم بطريقة غير رسمية، وفي بعض الأحيان كان هذا الظهير الرسمي الصادر عن السلطان يتأخر مدةً تزيد عن الشهرين(٨٥).

- **عزل بعض الأئمة والخطباء:**

أفادت المصادر أنَّه في بعض الأحيان كان يتم عزلُ الخطيب أو الإمام من منصبه(٨٦)، مثلما حدث لإمام جامع القرويين أحمد بن راشد العمراني الذي عُزِلَ عن وظيفة الإمامة بالجامع في بداية سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، وتمَّ إسنادُ أمرِها إلى خطيب المسجد يحيى المزدغي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) (٨٧).

وجدير بالذكر أنَّ المصادر التاريخيَّة لم تهتم بشكل عام بذكر أسباب العزل من المناصب إلَّا في بعض الحالات القليلة، وبالنسبة لعزل بعض أئمة مساجد

فاس وخطبائها في الفترة الزمنية للدراسة فيمكن حصرُها – وفق ما سمحت به المادة التاريخية المصدرية– في سببين، هما:

(١) العجز عن القيام بمهام الوظيفة: مثلما حدث في حالة الخطيب محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٨م)، الذي أقام خطيبًا بمسجد القرويين إلى أنْ اختلَّ حفظُه، وظهر عجزُه عن الخطبة، فعزله السلطان أبو عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨) في يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى سنة (٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، وعيَّن مكانه في اليوم نفسه الفقيه الأعدل الصالح عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أيوب أبي الصبر [٨٨].

وفي هذا الصدد عُرِضت بعض النوازل الطارئة على فقهاء فاس، منها أنَّ الفقيه عبدالله العبدوسي (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) سُئِل عن "إمامة شيخ منحني القامة جدا حتى بلغ انحناؤه حدَّ الركوع أو قاربه هل تصح إمامته أم لا؟" فأجاب بأنه لا تجوز إمامته[٨٩]. وعندما سُئِلَ عن إمامة شيخ كُسِرَتْ إحدى رجليه، فبرئت على قِصَرٍ فيها، وهو يعتمد أحيانًا في حال إمامته على الرجل القصيرة، أجاب بأنَّ "إمامته صحيحة، إلَّا إن كان هناك من هو أولى منه فيستحب أنْ يقدّم عليه، وإلَّا فليبق على إمامته"[٩٠].

(٢) ظهور ما يقدح في الإمام أو الخطيب: مصداق ذلك أنَّ خطيبَ جامع القرويين وإمامَه أبا الفضل محمَّد بن أبي الحسن يحيى المزدغي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) كان مولعًا بقضاء حاجات الناس، مَنْ عرف ومَنْ لم يعرف، تارة بنفسه وتارة بماله وتارة برسائله، حتى إنه كان لا يردُّ سائلًا ولا شاعرًا قصده، بل كان يبادر بقضاء حاجته، وكان الناس يتوسلون به عند سلاطين بني مرين وأمرائهم في حاجاتهم لمعرفتهم بعظم مكانته عندهم، وكان أكثر تسبباته الحراثة والزراعة والغراسة، وكسب أموالًا كثيرة، وكان كثير الإنفاق لنفسه وحاشيته لا سيما في المواسم والولائم، الأمر الذي نتج عنه تراكمُ الديون الكثيرة عليه، بعدما غفل عن ضبط أمواله وأحواله بالإضافة إلى استرساله في المسامحة لوكلائه، فتراكم عليه – بسبب كل ذلك – ديون جسيمة، وصلت إلى واحد وثلاثين ألف دينار وثلاثمائة دينار، كلها من الذهب العين، وجملتها ودائع كانت بيده حيث كان

يتولَّى مع الخطابة والإمامة خطة التركات، في حين لم يبلغ ما بيده وحوزه من الأملاك إلا عشرة آلاف دينار وخمسمائة دينار من الفضة، فاقتسمها الغرماء على حسب مقدار ديونهم، فاضطرَّ السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) أنْ يصرفه عن الخطبة والإمامة؛ لأنَّه رأى أنَّ ذلك جُرْحَة تقدَحُ فيه، وبالفعل أنفذَ أمره بعزله(٩١)، وذلك بعد أنْ أعدَّ له مجلسًا من بعض الفقهاء بقيادة قاضي فاس؛ للاستماع منه ومعرفة وجهة نظره فيما بدرَ منه، فعندما سأله بعضُهم :"هل كان في ذمَّتِك ما يفي بهذه الأموال؟"، أبانت إجابتُه عن عذرٍ أقبح، حيث أظهرت تبنِّيه لسياسة الاحتكار التي يختزنُ أصحابُها المحاصيل الزراعية ويتحينون وقوع الكوارث والغلاء لبيعها بأثمان مرتفعة، حيث قال :"كان عندي زرع كثير معولًا على ادِّخاره إلى سنة يرتفع فيها السعر، فيوفِّي ثمنه بالمال وزيادة، فلما افتقدته، وكان نحوًا من كذا، وقدرته بكذا مما يبلغ هذا العدد، وجدت أولادي تصرَّفوا فيه، وليس في ذمَّتي الآن ما يفي بربعه"، فلمَّا عرف السلطان ذلك قرَّرَ عزله عن الإمامة والخطابة(٩٢)، فكتب إليه يتوسَّل له في أنْ يلقاه فرفض السلطان، وقال :"والله، والله، ما منعني من لقائه إلَّا الحياء"(٩٣)، ثمَّ كتب إليه أبياتًا من الشعر يستجديه فيها، ويبيِّنُ له أنَّ ما فعله يُعَدُّ ذنبًا صغيرًا وليس كبيرًا، فعندما قرأ السلطان ذلك صمَّمَ على عزله(٩٤).

يتأكَّدُ من خلال الخبر السابق الغني عن كل تعليق مدى اهتمام سلاطين بني مرين آنذاك بالوظائف الدينيَّة، وفي مقدمتها الإمامة والخطابة، وتأكيدهم أنَّ مَنْ يتولَّى مثل هذه الوظائف ينبغي أنْ يتحلَّى بالصفات الحسنة، وألا يقوم بأي فعل من شأنه أنْ يقدحَ في ذمته ونزاهته وسمعته، وقد نتجَ عن ذلك أنْ ازدهرت هذه الوظائف، وانضبط أربابُها بشكل كبير.

وجاء في ترجمة خطيب جامع القرويين أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي المكناسي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٦م) أنَّه تمَّ عزلُه من وظيفة الخطابة بجامع القرويين، وبعد فترة طُلِبَ ليتولَّى مهام وظيفة الإمامة بجامع الأندلس، فرفض، وقال :"إنْ كان عزلي لجُرْحَة فلا يحل لكم أنْ تقدموني، وإن كان من غير جُرْحَة فقبولي له من قلّة الهمة"(٩٥).

يشيرُ النص السابق إلى أنَّه كان من الوارد في هذا العصر أنْ يُعزلَ الخطيب أو الإمام بسبب جُرْحَة تقدح في وجاهته وذمته، ولذا فقد رفض أحمد بن سعيد تولّي وظيفة الإمامة بجامع الأندلس، وذلك بسبب موقف السلطة السياسية منه عندما عزلته من وظيفة الخطابة بجامع القرويين؛ لأنَّ هذا العزل لو كان بسبب جُرْحَة رأتها السلطة فيه فلا يحقُّ لها أنْ تختاره لوظيفة مماثلة لها نفس المكانة وهي الإمامة، أمَّا لو كان عزلُها له من غير جُرْحَة في حقه فسيكون قبولُه تولّي الإمامة من باب التقليل من شأنه.

هذا؛ وقد انتشرت ظاهرة ضرب خط الرمل في العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م)، رغم المحاذير الشرعيَّة بشأنها؛ ظنًّا من الناس أنها تطرد العوامل المسببة للمجاعات والكوارث، وقد طال ذلك بعض أئمة المساجد مِمَّن اشتغل بضرب الرمل، الأمر الذي أثار حفيظة الذين يؤمهم، فتمَّ تأخيرُه عن الإمامة؛ لأنَّ ضرب الخط غير جائز وقادح في إمامته[٩٦].

- **الإنابة في الخطبة والصلاة:**

في بعض الأحيان كان الخطيب يَستنيب مَنْ يخطب مكانَه، وذلك في حال وجود أعذار تمنعه من القيام بالخطبة، فقد خطب الفقيه المحدِّث محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٨م) نائبًا عن الخطيب يوسف بن عمر الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٤٥٩م)؛ لأعذار أبداها، وما زال يوسف بن عمر الأنفاسي يعتذر عن القيام بالخطبة إلى أنْ استبدَّ محمَّد بن عبد الرزاق بالخطبة[٩٧].

وأحيانًا يكون هذا العذر هو العجز عن القيام بمهام الوظيفة بسبب المرض، مثلما حدث من جانب إمام القرويين يوسف بن عمر الأنفاسي السابق الذي مرض وعجز عن القيام بالإمامة، فقدَّم ولدَه الشاب الصالح سليمان نائبًا عنه في ذلك يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر رمضان سنة (٧٦٠هـ/١٤٥٨م)[٩٨]، ثمَّ استقلَّ سليمان بالإمامة، وظهر منه خير كثير واستقامة، ثمَّ تأخر عن الإمامة وامتنع عنها من تلقاء نفسه لأمر ظهر له في ذلك[٩٩].

أضِفْ إلى ذلك أنَّ إمام الجامع قد يحتاج إلى الخروج لضيعته في مواسم عصر الزيتون، وذلك في أيام العصير، حيث يخرج الناس إلى عصيرهم، وفي

هذه الحالة يلزمه أن يستخلف مَنْ يقوم مقامه في إقامة وظائفه، كما أنَّه كان عليه أنْ يستخلف مَنْ يقوم مقامه طول غيبته، إذا خرج إلى بلد آخر لقضاء بعض الحوائج الضرورية له، ولا يترك المسجد ضائعًا(١٠٠).

المطلب الثاني: المؤذن والميقاتي وضبط مواقيت الصلاة:

(١) وظيفة المؤذن:

كان لكل جامع أو مسجد في مدينة فاس عصر بني مرين عددٌ من المؤذنين يتولَّون مهمة الآذان فيه(١٠١)، ويظهر أنَّ هذا العدد لم يكن قليلًا(١٠٢)، وهذا ما يتضح من حديث المصادر عن مجموع هؤلاء المؤذنين مع القَوَمَة(١٠٣)، ففي أغلب الأوقات كان جامع القرويين يضمُّ أربعين مؤذنًا وقيِّمًا(١٠٤)، بينما كان يتواجد في جامع الأندلس عشرون مؤذنًا وقيِّمًا فقط(١٠٥).

هذا بالنسبة إلى المساجد الكبيرة، أما بالنسبة إلى المساجد الصغيرة فكان عدد المؤذنين فيها أقلَّ من ذلك، حيث وصلَ – في بعض الأحيان- إلى أربعة فقط(١٠٦)، الأمر الذي يعني أنَّ عدَدَهم في مساجد فاس الكبيرة كان أكثر من أربعة على أقل تقدير. كما كان يتمُّ تعيين مؤذن واحد فقط في كل مسجد من المساجد الموجودة في المدارس التي بناها بنو مرين(١٠٧).

وبصفة عامة كان عقد التحبيس يَنُصُّ على عدد المؤذنين في كل مسجد، بحيث لا يُسْمَحُ بإحداث وظائف لغيرهم لمْ تُرَتَّبْ في أصل العقد؛ لكنَّ التمسُّكَ بهذا الأمرَ تغيَّر في العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م)، وذلك في ظلِّ تعرُّض الحياة الدينية للتدهور، وهو ما برز بوضوح من خلال انتشار مظاهر الفساد في بعض الخطط الدينية، ومنها ما يخصُّ وظيفة المؤذِّن، ومن ذلك أنَّ البعضَ لجأ إبَّان ذلك العصر إلى بعض أهل الجاه والنفوذ بهدف الضغط على ناظر الحبس لزيادة عدد المؤذنين عمَّا هو مرتَّبٌ في أصل التحبيس، وهو ما كشفت عنه نازلةٌ عُرِضَت على الفقيه القاضي الفاسي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله اليزناسني (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)، أفادت أنَّ مسجدًا بمدينة فاس له حوانيت مُحبسة عليه، كان يجري على فوائدها من قديم الزمان مرتبُ أربعة من المؤذنين، ثمَّ إنَّ بعضَ الناس تسبَّبَ ببعضِ أهل الجاه والنفوذ في

الأذان فيه، فقام هؤلاء بالضغط على ناظر الحبس لزيادة عدد المؤذنين، مع أنَّ المسجد لا يحتاج إلى أكثر من الأربعة المنصوص عليهم في أصل التحبيس، فاستجاب لهم الناظر، الأمرُ الذي زادت معه قيمةُ المرتبات المطلوبة، وهو ما تسبَّبَ في إحداث عَجْزٍ في مرتباتهم بَلَغَ سبعين درهما في الشهر، وكان الناظر يعوِّضُ هذا العجز من غلة أحباس المساجد الأخرى، فحدث أنْ احتاج سقف المسجد المذكور إلى إصلاح، فنفذ فيه الناظر أكثر من ثلاثمائة دينار استنفدت فائض غلة سائر المساجد، الأمر الذي اضطرَّ معه الناظر إلى الامتناع عن إعطاء المؤذنين السبعين درهما التي كان يعطيهم إياها تكميلًا لمرتبهم من سائر المساجد بعد زيادة عدد المؤذنين في المسجد المذكور إلى سبعة، وإزاء ذلك طلب المؤذنون السبعة من مكتري حوانيت المسجد المذكور أنْ يتحملوا لهم السبعين درهما، أو يخرجوا من هذه الحوانيت على أنْ يأخذها المؤذنون عوضًا عن مرتبهم، واضطرُّوهم إلى ذلك، مِمَّا مثَّل ضررًا عامًا عليهم، وفي النهاية تحمَّل لهم بعض سكان الحوانيت نسبتَهم في الزيادة المذكورة، في حين أخلى البعض الآخر من الحوانيت، ولم يوجد مَنْ يسكنها بعدهم بتحمُّل تلك الزيادة في الكراء، بينما لم يتحمل البعض الآخر من السكَّان وانتظر جواب الفقيه القاضي إبراهيم اليزناسني؛ لأنَّ هذه الزيادة المطلوبة تمثِّلُ ضعفَ الكراء(١٠٨). وقد أفتى القاضي قائلًا :"لا يُزَاد مؤذِّن على ما جرت به العادة، كما لا يُزاد في مرتب، وإن فعل الناظر شيئًا مما مُنِعَ منه ضمن ما دَفَعَ، وإكراه أصحاب الحوانيت ظلمًا لهم يجب رفعُه"(١٠٩).

ولأنَّ المؤذنين في فاس كانوا يؤذنون للصلوات من أعلى صوامع المساجد(١١٠)، فقد كان بعضُ سلاطين بني مرين يشتدُ عليهم في ألَّا يصعد منهم للأذان نهارا إلا مَنْ عُرِفَت عفتُه، ووثق به في غضِّ بصره؛ حتى لا يُقْدِمَ على كشف الناس والاطِّلاع على عوراتهم وهم في منازلهم المنخفضة عن صوامع المساجد، مِمَّا قد يتسبب في إحداث الفتن، كما كان بعضُ المحتسبين يأمرُ المؤذنين بعمل عصائب على أعينهم حين الأذان بالنهار، ومع ذلك فالأمرُ لم يسلمْ من وقوع بعض الفتن والمشاكل في فاس خلال القرن (الثامن الهجري)

بسبب تعمُّد بعض المؤذنين كشفَ بعضِ سكَّان الدور المجاورة للمساجد أثناء قيامهم بالأذان، كما ذكر الجزنائي(١١١).

(٢) وظيفة الميقاتي:

إذا كان المؤذِّن هو المسؤول عن الأذان في مساجد فاس وجوامعها، فإنَّ الميقاتي أو المؤقّت كان مسؤولًا عن تحديد أوقات الأذان للمؤذنين لإقامة الصلوات في تلك المساجد والجوامع(١١٢).

وكان جميع مؤذني المساجد والجوامع في فاس يقتدون بأذان مؤذني جامع القرويين، فلا يؤذنون إلَّا بعدَهم؛ نظرًا لضبطهم للأوقات، ومحافظتهم عليها(١١٣)، وهو ما يعني أنَّ هذا الجامع كان يمثِّلُ المركزَ الرئيس في تحديد أوقات الصلوات وتتبع الأهلَّة(١١٤). ومن هنا كان لزاما الاعتناء بناحية التوقيت فيه.

وكان المؤذنون فيه يهتدون إلى مواقيت الصلوات بمعرفة الميقاتي، الذي كان يتمُّ اختيارُه من أهل الورع والدين والنزاهة، ومن المتخصصين في علوم الحساب والفلك(١١٥)، كعبد الرحمن بن محمد الجَادِيرِي (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) الفقيه المحدث الذي كان متفننا في علوم الحساب، والذي ولي – بسبب ورعه وعدله وعلمه – التوقيت بجامع القرويين(١١٦).

وفي البداية كان يتمُّ الاهتداء إلى أوقات الصلوات في جامع القرويين عن طريق بلاطات رخام تمَّ وضعُها بطريقة محكمة في القبة المخصَّصة لجلوس المؤذنين ومبيت مَنْ يراعي منهم الفجر ليلًا(١١٧)، وذلك بواسطة المتخصصين في المواقيت، حيث كان في وسط كل بلاطة منها قائمٌ يُسْتَدَلُّ بامتداد ظلِّه على خطوط في البلاطة بطول أزمان النهار ومرور ساعاته، كما كان في عطفات أدراج القبة المذكورة سرج زاهرة يمرُّ عليها الليل كله، يُسْتَعان بها في معرفة أجزاء الليل وموعد صلاة الفجر(١١٨).

ويذكر الجزنائي (كان حيًّا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥م) أنَّ الاستدلال بهذه الطريقة ظلَّ قائمًا إلى أنْ وليَ خطيب الجامع محمد بن أبي الصبْر قضاء مدينة فاس، ففي أيامه، وبالتحديد في سنة (٦٨٥هـ/١٢٦٨م)، اقترح على المؤقَّت محمد بن الحبَّاك(١١٩) أنْ يصنعَ مَنْجَانَة (ساعةً مائية) تعرِّف المؤذنين أوقات النهار والليل؛

لأنَّ الطريقة القائمة لم تعد كافية، ولاسيما بعد وصول أخبار عن الساعة المائية للمدرسة المستنصرية ببغداد، فصنع بدنًا (حوضًا) من فخَّار بالقبة العليا التي كانت تعلو قبة جلوس المؤذنين، وجعل فيه الماء، وجعل على وجه الماء صحنًا من نحاس فيه خطوط وثقوب، ويخرج الماء بقدر معلوم إلى أنْ يصل للخطوط والثقوب، وهو ما يساعد على معرفة أوقات الليل والنهار في أيام الغيم ولياليها(١٢٠).

وبعد مباشرة أعمال تجديد صومعة جامع القرويين في عهد الخطيب والقاضي السابق، ولأجل ضبط مواقيت الصلوات بجامع القرويين أكثر وأكثر؛ تمَّ صناعة مَنْجَانَة بغرفة المؤذنين والقَوَمَة، أحدثها الشيخ المُؤقِّت محمد بن عبدالله الصنهاجي النطاع في عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م)، ورسمها له محمد بن الصدينية القرطسوني، وتطوَّع بعض المسلمين بالإنفاق فيها سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)، وذلك أنه جعل في ركن الغرفة عن يسار الداخل بدنًا من خشب الأرز، وجعل في داخله صحْنَيْن كبيرين مصنوعين من الفخَّار، أحدهما أعلى من الآخر، وجعل الماء في الأعلى منهما، وجعل بأسفله أنبوبا من نحاس مموها بالذهب محكم العمل، يهبط منه الماء في الصحن الأسفل بقدر معلوم، وجعل جوف الصحن مفطسًا، ورسم في جانبيه خطوطًا ترمز إلى بروج الأفلاك والأشهر العجمية والساعات ودقائقها، وجعل في وسطه مسطرة معلَّقة رسم فيها أيضا الساعات ودقائقها وأوقات الصلاة في الليل والنهار، وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في الإناء الأسفل جسما عائمًا مجوفا من نحاس معلقا في الطرف الذي يلي من الغلور (جسم في شكل مسند)، فإذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في الصحن الأسفل طلع طرف الغلور الخارج من التفطيسة وطلعت بطلوعه المسطرة، وكلما طلعت بطول الأزمان ظهر فيها الوقت المطلوب، فإذا تم النهار والليلة المقبلة له رُد الماء من البدن الأسفل إلى البدن الأعلى، وعلق المسطرة كما كانت(١٢١).

وقد ظلَّ الاعتماد على هذه المَنْجَانَة في معرفة أوقات الصلوات في جامع القرويين فترة، ثمَّ أهمل العمل بها مع مرور الزمن، إلى أنْ تمَّ تعيين الميقاتي

محمد بن محمد بن العربي سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) للنظر في التوقيت وشؤون الأذان، فقام بتجديدها على وجه أحسن مِمَّا كانت، حيث جعل خارج المجن الموجود فيها دائرة عليها شبكة كشبكة الأَسْطُرْلَاب، ورسومه تدور متى طلعت المسطرة، فيعرف بها أوقات الصلاة في الليل والنهار، كما أعد بجوارها رمليات؛ لاختبار الأوقات، فضلًا عن جملة أسطرلابات يُستعان بها في معرفة أجزاء الليل والنهار، مما أسهم – بشكل كبير – في ضبط مواقيت الصلاة(١٢٢).

وقد ذاع صيت هذه المَنْجَانة في مدينة فاس بعد تجديد ابن العربي لها، الأمرُ الذي شجَّع السلطان أبا عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) على صعود صومعة جامع القرويين العالية؛ ليشاهدها، فقد وقف على المَنْجَانة وما اتصل بها، فاستحسنها وأبدى إعجابه بها، (١٢٣)، وأمرَ أنْ يُجْعَلَ بأعلى الصومعة صارٍ من خشب، يُنْشَرَ فيه علمٌ أبيض في أوقات صلاة النهار، وفنار فيه سراجٌ زاهرٌ لأوقات صلاة الليل؛ لمساعدة من بَعُد ولم يسمع الأذان في معرفة أوقات الصلوات، وهو ما يعطي دلالة واضحة على شدة اعتنائه بأمور الأوقات وما يتعلَّق بها من وجوب الصلوات(١٢٤).

المطلب الثالث: المزايا التي تمتَّع بها موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس:

(١) مزايا السكن:

كان أئمة مساجد فاس يسكنون في دار محبَّسَة على أئمة المسجد(١٢٥)، ففي جامع الأندلسيين كانت هذه الدار موجودة فوق مصلَّى النساء(١٢٦). أمَّا بالنسبة لجامع أبي الحسن المريني الذي بناه في فاس القديم سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٢م) فقد تمَّ وقف سبع حوانيت تقع على نفس الخط الشمالي للجامع، وفوقها حجرتان، الكبرى منهما تمَّ تخصيصُها لسكنى الإمام، في حين خُصِّصَتْ الصغرى منهما لسكنى المؤذنين والمؤقتين(١٢٧).

وعندما أمر السلطان أبو عنان (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) ببناء الزاوية المتوكلية أمر – كما جرت العادة في بناء الزوايا- ببناء مسجد في قبليها، تمَّ تخصيص حجرة لإمامه وأخرى لمؤذِّنه، يقول ابن الحاج النميري

(ت٧٦٨هـ/١٣٦٧) في وصف هذه الزاوية :"وفي كلِّ ركن من أركان هذه الزاوية باب يشرع إلى دار بديعة البناء، متناسقة الأجزاء، مكملة المنافع، منيعة المصاعد والمطالع ... والدور الثلاث المذكورة إحداها معينة لإمام هناك، والأخرى للمؤذِّن الذي يسلك في إقامة شعائر الدين المناهج الواضحة المسالك، والثالثة للناظر في الأوقاف والأحباس والمتصرِّف في إعداد الطعام وترتيب الناس"(١٢٨).

هذا النص يكشف مدى اهتمام السلطان أبي عنان بإمام الزاوية المتوكلية ومؤذنها، حيث أمر ببناء دارٍ لكلٍّ منهما، جاءت على أحسن حال من حيث البناء والتناسق والمنافع والأمان.

وبالمثل خصَّصَ القائد عبدالله الطريفي – حاجب السلطان أبي سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م)- لإمام مسجد السوق الكبير الذي بناه في فاس الجديد سنة (٨١٠هـ/١٤٠٧م) حجرة تقع على يمين الخارج من المسجد(١٢٩) .

وفي جامع القرويين كان المؤذنون يجلسون في قبة بُنِيَت لهم بأعلى الصومعة التي بناها أحمد بن أبي بكر الزناتي عامل الناصر لدين الله الأموي صاحب الأندلس على مدينة فاس(١٣٠)، وذلك سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) حسبما كتب في التربيعة المنقوشة بها، وكانت هذه القبة أيضًا مكانا لمبيت المؤذنبن الذين يبيتون ليلًا في المسجد لإقامة أذان الفجر(١٣١). وقد ظل الأمرُ قائمًا على هذا النحو إلى أنْ تمَّ بناء غرفة مخصصَّة لمبيتهم في العصر المريني سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)(١٣٢).

وفي بعض الأحيان كان البعضُ يقوم بتحبيس دورٍ لسكنى المؤذنين، أشارت إلى ذلك نازلة عُرِضت على الفقيه الفاسي عيسى بن علّال (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م) بخصوص دار محبسة على مؤذِّن يؤذِّن لصلاة الفجر حين ينام المؤذنون، سكنها لمدة أربع وعشرين سنة(١٣٣).

هذا؛ وقد أبدى بعض الأئمة اعتراضًا على السكن في هذه الدور المحبَّسة، ومنهم إمام جامع القرويين علي بن الحاج (ت٦٥٣هـ/١٢٥٥م) الذي عبَّر عن رفضه قائلًا :"لا ينبغي أنْ تكون السكنى عوضًا عن الإمامة"، وبناءً عليه رفضَ السكنى في الدار المحبَّسة على أئمة جامع القرويين، وعندما قِيلَ له :"إنْ لم

تسكنها تُعَطِّلْ حبسًا عينه المحبّس لذلك"، قال :"أمهلوني أنظر لنفسي مخرجًا"، ثمَّ وافق في النهاية على أنْ يسكنَ فيها شريطةَ أنْ يقومَ بعملٍ إضافي مقابل هذا السكن، وهو القيام بخياطة حصر الجامع؛ حتى يكون ذلك عوضًا من سكنى هذه الدار(١٣٤).

وبخصوص هذه الدور أثيرت بعضُ القضايا المرتبطة بإصلاحها، وهو ما أعربت عنها بعضُ النوازل، ومنها تلك النازلة التي عُرِضَت على الفقيه الفاسي عيسى بن علال (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، والتي أفادت أنَّ سكَّان تلك الدور من المؤذنين إذا فرَّطوا فيها حتى تهدمت أو تضرَّرت واحتاجت إلى إصلاح كثير، فإنَّ إصلاحها يكون مِنْ مالهم الخاص، وليس من حبس المسجد الذي يعملون فيه؛ لكونهم تسبَّبُوا في ذلك بإهمالهم(١٣٥). ومنها أيضًا تلك النازلة التي سأل الناس فيها عن إمكانيّة إصلاح تلك الدار المحبسة على إمام المسجد من غلته، والتي أجاب عنها الفقيه عبد الله العبدوسي (ت ٨٤٩هـ/١٤٤٤م) بأنَّ المشهور المنع من إصلاح دار الإمامة المحبسة على الإمامة من غلات المسجد الذي يؤم به الإمام(١٣٦). هذا بالإضافة إلى نازلة أخرى في الصدد نفسه أشارت إلى أنَّ هناك دارًا محبسة على مؤذن وتحتاج للإصلاح، فهل يصلحها المؤذن من ماله أم تصلح من مال أحباس الجامع؟(١٣٧).

وفي هذا المنحى نجد في الوقفية التي أوقفها الحاجب عبدالله الطريفي على مسجد السوق الكبير الذي بناه بفاس الجديد سنة (٨١٠هـ/١٤٠٨م)، إشارة إلى أنه على المؤذن إصلاح الحجرة المخصصة لسكنه إذا احتاجت إلى الإصلاح(١٣٨).

(٢) المرتبات:

كان موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في عصر بني مرين يتقاضون مرتبات معلومة من غلة أوقافها(١٣٩)، وفي هذا الصدد ذكر الجزنائي أنَّ مؤذني جامع القرويين والأندلس كانت لهم فوائد وعوائد معلومة (١٤٠). وأفادت المصادر أنَّ سلاطين بني مرين كانوا يجرون على الأئمة والمؤذنين والخطباء الذين يعينونهم في مساجد بعض المدارس التي كانوا يبنونها مرتبات ومؤنًا(١٤١).

ويظهر أنَّه كان هناك اختلاف في تقديم أصحاب الوظائف في المساجد بناء على ما إذا كان المسجدُ مسجدًا جامعًا قائما بذاته أم كان مسجدًا تابعًا لمدرسة من المدارس التي بناها بنو مرين، وذلك في حالة إذا ضاق مال الوقف عن الإيفاء بمرتبات جميع المندرجين تحته، فإذا كان المسجدُ تابعًا لمدرسة فإنَّ القيِّم والبواب يأخذان ما رَتَّب لهما الواقف بالتمام والكمال؛ لأنهما ملحقان بعمارة المدرسة بشكل عام، لا تتم إلا بهما؛ لأنها تحتاج إلى الكنس والفرش والوقود وفتح الباب وغلقه وحفظ الحصر وقناديل الإنارة وغير ذلك، وما تبقى بعد ذلك من المال يُقَسَّمُ على الإمام والمؤذن والمدرس والأستاذ والطلبة. وأمَّا إذا كان مسجدًا قائمًا بذاته يصلِّي فيه الموقوف عليهم وغيرهم مِمَّن يحتاج إلى الإعلام بدخول الوقت، ففي هذه الحالة كان يُقَدَّم المؤذن والإمام والقيم والبواب، وما تبقَّى يقع فيه القسمة بين الطلبة والمدرِّس والأستاذ(١٤٢).

وكان بعضُ أصحاب الوظائف الخاصة بإقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس يطلبُ زيادة في راتبه المخصَّص له، وذلك عندما تطرأ زيادة في غلة أوقاف المسجد، مثلما حدث مِن إمام المسجد الجامع في المدينة البيضاء (فاس الجديد) عندما طلب زيادة من فضلة غلة أوقاف المسجد، فزيد له في مرتبه منها(١٤٣). وحدث في سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م) أنْ طلب أبو عبدالله محمد مؤذن جامع القرويين من الناظر في أحباس الجامع زيادةً في مرتبه المخصص له من مال الوقف؛ ذلك أنه كان يقوم بأعباء إضافية على عمله الأصلي كمؤذن، حيث كان ينظر في حفظ الجامع، ويغلق أبوابه ليلًا ونهارًا، ويخيط حصره، ويتطوف عليه بعد انصراف الناس من صلاة العشاء الآخرة كل ليلة لتفتيشه مع وقَّاد الجامع، وإخراج من يريد أنْ يبيت فيه، لما يخشى عليه من مبيت من يريد به فسادا ومنكرا أو سرقة؛ إذ لا يؤمن عليه من سرقة ما فيه من ثريات النحاس ومصابيح الزجاج والحصر وغيره، وهو بذلك يبذل جهده في النظر في مصالح الجامع وملازمة له غالب الأوقات، الأمر الذي يشغله عن طلب الرزق وأسباب العيش التي لابدَّ منها لانقطاعه بكلية إلى الجامع بالليل والنهار. وإزاء ذلك تمَّ رفعُ الأمر برمته إلى الفقيه المفتي مصباح بن محمد بن عبدالله اليالْصُوتي(١٤٤) (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)،

مختومًا بسؤال مفاده: "هل ترون هذا المؤذن الذي يلازم الجامع لما ذكر من القَوَمَة[١٤٥] الذين تجوز الإجارة لهم من الحبس، ويسوغ للناظر في الحبس دفع الإجارة إليه على ذلك أم لا؟"[١٤٦].

وقد جاء جواب الفقيه السابق بأنه يجوز للناظر أن يفرض للمؤذن المذكور على ذلك إجارة قدرها خمسة دراهم في اليوم مع الإشارة إلى أنه يستحق أكثر من ذلك، وأرسل جوابه مكتوبًا بذلك ومتضمنًا شهادة الشهود، فعندما وقف على الجواب قاضي مدينة فاس محمد بن عبدالرزاق الجزولي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٨م)، وخطيب جامع القرويين محمد بن يحيى بن عبدالرحمن بن محمد المزدغي، وكان المؤذن المذكور قد سألهما النظر له فيما يجري له من الإجارة من مال أحباس الجامع على قيامه بالأمور المذكورة في رسم السؤال المذكور؛ أذنا للناظر في أحباس الجامع، وهو أبو الحسن بن الشيخ الأفضل أبي العباس أحمد بن الأشقر الصنهاجي، في دفع الإجارة من مال أحباس الجامع المذكور للمؤذن، وذلك بحسب خمسة دراهم فضة صغيرة في كل يوم[١٤٧].

وإذا كان المؤذِّن السابق قد تقرَّرَ له خمسة دراهم في اليوم الواحد، بواقع مائة وخمسين درهمًا في الشهر الكامل، فإنَّ مسجدًا آخر في بادية فاس كان له عدد من المؤذنين، لكلِّ واحد منهم مرتب معلوم عبارة عن سبعين درهمًا في الشهر[١٤٨]. في حين قرَّر القائد عبدالله الطريفي حاجب السلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م) مرتبا للمؤذن في مسجد السوق الكبير الذي بناه بفاس الجديد سنة (٨١٠هـ/١٤٠٨م) مقداره عشرة دنانير كل شهر[١٤٩].

معنى ذلك أنَّ مرتبات المؤذنين في مساجد فاس عصر بني مرين لم تكن متكافئة، بل كانت متفاوتة، تختلف من مسجد إلى آخر، وربما كان هذا الاختلاف على حسب عدد المؤذنين في المسجد، أو على حسب كبر المسجد وصغره.

وبصفة عامة كان ينظرُ إلى أصحاب الوظائف الخاصة بإقامة الشعائر الدينية في مساجد فاس على أنهم أصحاب وظائف قديمة[١٥٠]، في حين كان ينظر إلى قرَّاء الكتب والمفسرين والحزَّابين (قرّاء القرآن الكريم بالمسجد) على أنهم

أصحاب وظائف جديدة محدثة، وعلى هذا الأساس كان أصحاب الوظائف القديمة مقدمين على أصحاب الوظائف المحدثة فيما يخصُّ استيفاء مرتباتهم، وذلك في بعض الأوقات التي تكون غلَّات المسجد قدر المرتبات القديمة أو أقل منها(١٥١).

أضِف إلى ذلك أنَّه لم يكن هناك تفاضل بين أصحاب المرتبات القديمة، فإذا كانت هناك زيادة في مرتباتهم، فلا يقدَّمُ الإمام على المؤذن مثلا، ولا المؤذن عليه، بل هما متساويان في ذلك؛ لأنهما أجيران دخلا في ذلك مدخلًا واحدًا، إلَّا أن يكون في أصل الحبس شرط في تقديم أحدهما على الآخر، فيمضي ذلك(١٥٢).

وعلى الرغم من تشدُّد القضاة والمفتيّين في مسألة إحداث مرتَّب جديد لم يكن موجودا في أصل الحبس أو إحداث زيادة في مرتب موجود بالفعل(١٥٣)؛ فإنهم كانوا يسمحون بالزيادة في مرتب قديم من فضلة الأحباس أو إحداث مرتب جديد، شريطةَ اتساع غلات الأحباس، والأمن من الاحتياج إليها في المستقبل(١٥٤).

وإذا حدثَ وَوُجِدَ موظفٌ متطوع فإنه كان يقدَّم على طالب الراتب، مصداق ذلك أنَّ الفقيه عبدالله العبدوسي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٤م) سئل عن مؤذنين بمسجد كلهم بالمرتبات، فقال أحدهم: أنا أوذِّن دون مرتَّب أو أنا أوقد المصابيح دون راتب، ويخلى المرتب للمسجد يُنتفع به في الزيت، وهو مثل مَنْ يأخذ راتبا أو أحسن منه في الأذان والوقد، فأجاب بأنَّ المؤذن المذكور إذا أثبت أنه ذو كفاية في القيام بالأذان والوقد المعتادين فإنه يُمَكَّن مِمَّا ذكر، ويكون مأجورا مشكورا إنْ صحَّت نيته فيما عرضَ، وإلا فالله يحاسبه على نيته(١٥٥).

هذا؛ وقد أفادت بعض النوازل أنّ بعض موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس كانوا يضطرون إلى التغيُّب عن وظائفهم بسبب انشغالهم أثناء مواسم عصر الزيتون، أو بسبب الاضطرار إلى الخروج إلى بلد آخر لقضاء بعض الحوائج، فكان عليهم استخلاف من ينوب عنهم خلال الفترة التي سيغيبون فيها كما ذكرنا آنفًا، وهنا كان لا يُحَط من مرتبهم شيء بسبب ذلك؛ قياسًا على عدم الحط من مرتبهم في حال المرض. أمَّا إذا تغيَّبَ أحدهم عن عمله كثيرًا دون عذر مقنع، فإنه يُحَطُّ من مرتبه بقدره، وذلك من منطلق أنه محمولٌ على أن يوفي بخطته(١٥٦).

وفي هذا الصدد دفعت العادةُ التي كانت موجودة في المدارس التي بناها بنو مرين، والتي تمثَّلت في أنَّ إقامة الأئمة فيها إنما يكون في الظهر والعصر خاصة، البعضَ لأَنْ يسأل عن إمكانية الحطِّ من مُرَتَّب هؤلاء الأئمة بسبب عدم التزامهم بالإقامة في مساجد هذه المدارس في كل الصلوات، ومن ذلك أنَّ الفقيه عبدالله العبدوسي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٤م) سُئِل عن "عبدالعزيز بن موسى الورغيلي حين كان إمامًا بمدرسة الخصة، وكان لا يصلِّي فيها مغربًا ولا عشاء ولا صبحا، فهل يُحَطُّ له من المرتَّب بقدر ما عطَّل من هذه الصلوات أم لا؟"(١٥٧)؛ فأجاب بالآتي:

"إنَّ المدرسة التي يؤم فيها عبدالعزيز المذكور ثبت عندنا من الثقات الأثبات أنَّ عادة إقامة الإمام فيها إنما هي في الظهر والعصر خاصة، وكذلك جرت العادة في الجامع العليا من مدرسة الحلفاويين، وكذلك أدركت العادة فيها منذ عقلت، والأحباس تُقِرُّ على ما وجدت عليه، فلا يُحطُّ للإمام المذكور شيء من المرتب بسبب عطلته مما جرت العادة بعطلته، وأمَّا الظهر والعصر الملزوم بهما فما عطَّله فيهما من الأيام: الجمعة ونحوها لمرض أو لخُروجه لضيعته، فلا يُحطُّ من مرتبه شيء بسبب ذلك، وما عطله من الكثير من ذلك فإنه يحط له بقدره، وهو محمولٌ على أنْ يوفي بخطته حتى يثبتَ عليه خلاف ذلك"(١٥٨).

وفي ضوء هذه النازلة والردّ عليها يمكن الخروج بالآتي:

– أنَّ العادة في إقامة الأئمة في مساجد المدارس بفاس كانت تقتضي بوجود الإمام في المسجد في صلاتي الظهر والعصر خاصة.

– أنَّ الأحباس أقرَّت هذه العادة القائمة.

– لا يجوز الحطُّ من مرتَّب الإمام بسبب عدم تواجده في المسجد في صلوات: الصبح، والمغرب، والعشاء، وذلك استنادًا إلى العادة القائمة، وإقرار الأحباس لها.

– إذا تغيَّب الإمام عن المسجد في صلاتي الظهر والعصر المُلْزَم بالتواجد فيهما حسب العادة القائمة وإقرار الأحباس لها، وذلك في يوم الجمعة وغيره، وكان

سبب التغيُّب المرض أو الخروج للضيعة؛ فلا يُحَطُّ من مرتَّب الإمام شيء بسبب ذلك.

– أمَّا إذا كَثُرَ تغيُّبِ الإمام عن صلاتي الظهر والعصر المُلْزَم بهما حسب العادة القائمة وإقرار الأحباس لها دون عذر، فإنَّه يُحَطُّ من مرتبه بقدر تغيبه؛ لأنَّ التغيُّب هنا يكون من باب الإهمال، وليس لظرف طارئ يتمثَّل في المرض أو الخروج إلى الضيعة في يوم الجمعة خاصة.

المبحث الثاني
دور موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في العصر المريني

المطلب الأول: علاقتهم بالسلطة المرينية الحاكمة ودورهم السياسي:

تبوَّأ موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس مكانة مرموقة في المجتمع الفاسي إبَّان العصر المريني، حيثُ كانوا يُعتبرون من النُّخب الفكرية والثقافية، وكان لهم دور بارز في توجيه المجتمع ونشر الوعي بين الناس على كافة الأصعدة والمجالات، فقد كانوا على علاقة طيبة مع أفراد المجتمع وأفراد السلطة الحاكمة، وكان الخطباء يقومون مع الفقهاء والقضاة بمبايعة السلطان المريني نيابةً عن جميع الناس اختيارًا له على من سواه، وكان الناس يطمئنون بهذه البيعة، فهي عندهم دليلٌ على صلاح السلطان وكفاءته(١٥٩).

وكان خطباء جوامع فاس وأئمتها في مقدمة الفئات التي كانت تحضر احتفال سلاطين بني مرين بالمولد النبوي(١٦٠)، منذ أنْ بدأ الاحتفال به السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)(١٦١)، وبعدما أمر السلطان يوسف بن يعقوب (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) باتخاذه عيدًا رسميًّا في مملكته في سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٢م)(١٦٢). وهذا الأمر لم يقتصر على الاحتفال بليلة المولد النبوي فقط، بل جرت العادة أيضًا أن يتم الاحتفال في الليلة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم، يقول ابن مرزوق (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) :"ثم في ليلة السابع مثل ذلك سواء، فإذا كان صبح يوم السابع جلس الكتَّاب للعطاء للشرفاء والكبار من الفقهاء والأئمة والخطباء والقضاة الواردين فيعطى كل على قدره كسوة تخصُّه، وإحسانا لبعضهم"(١٦٣).

وكانت المساجد تُسْتَخدم كمراكز للتواصل بين الحاكم والشعب، فقد كان سلاطين بني مرين يحرصون على حضور صلاة الجمعة والاستماع إلى خطب الأئمة، ومن ذلك أنَّ السلطان عبدالعزيز المريني (٧٦٧- ٧٧٤هـ/١٣٦٥-١٣٧٢م) كان يكثر من زيارة إمام جامع القرويين أبي الربيع سليمان بن يوسف

بن عمر الأنفاسي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، ويذهب إلى الجامع يوم الجمعة، ويجلس فيه بعد الصلاة؛ لمقابلته[١٦٤].

وقد حظي موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس بالدعم المعنوي والمادي مِنْ قِبَل سلاطين بني مرين، فكان السلاطين يرسلون إلى خطباء جامع القرويين كسوةً سُنية في أوَّل خطبة يخطبونها بعد توليهم مهام وظيفة الخطابة، وكانت هذه الكسوة تشتمل على بُرْنُس[١٦٥] أبيض من صوف، وبرد[١٦٦] أبيض من صوف، ومنديل للتعميم[١٦٧]، ودُرَّاعَتَيْن[١٦٨] ملونتين، وقُبْطِيَّة[١٦٩] شَواشية العمل[١٧٠] أو سُوسَانية العمل[١٧١]، وذلك في أوَّل خطبة يخطبها الخطيب[١٧٢]. وعندما أرسلَ السلطان أبو عِنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٥١-١٣٥٨م) إلى خطيب جامع القرويين يوسف بن عمر الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) مثل هذه الكسوة التي بلغت قيمتُها أزيد من مئة دينار من الذهب مع رسولٍ مِنْ طَرَفِه، خجلَ من ذلك واعتذر مِنْ قبولها، معتبرًا أنَّها لا تصلح لمثلِه، حيث قال للرسول :"هذه الكسوة لا تصلح لمثلي، وفيما عليَّ من اللباس كفاية"، فحاول الرسول أنْ يبيِّنَ له وجوهَ قبولِها قائلًا :"أنت من أهل العلم، وعندك وجوه لأخذها، وإنما قصد مرسلها ومهديها: التنويه بأهل العلم مثلك، وليمتاز أهل الخطط من غيرهم، وليعلم الناس بتقديمه لك، ولما في الهدية من التودد". فقبلها الخطيب وشكره عليها، ودعا له بصلاح الحال ثم لبس بعضها في خطبته الأولى، ثم وهبها لمن يستحقها من شرفاء البلد، واقتصر على عادته في لباسه[١٧٣]. وعندما رأى السلطان أبو عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) مَنْجَانة جامع القرويين الخاصة بتحديد أوقات الصلاة بعد تجديد الميقاتي ابن العربي لها، استحسنها وأبدى إعجابه بها، وأنعمَ على الميقاتي الناظر فيها بمرتَّب مرتفع؛ ليستعين به على القيام بشعائر الإسلام، وذلك في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) [١٧٤].

إنَّ هذه العلاقة سمحت لموظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس أنْ يقوموا بأكبر عمل يمكن أنْ يقوموا به نحو الحاكم، وهو تقديم النصح والإرشاد له، وتوضيح ما هو ديني وما هو غير ديني، فقد كان إمام جامع الشَّطَة[١٧٥] بفاس القديمة، وهو أبو إبراهيم الأعرج (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) [١٧٦]، يأمر السلطان يعقوب

بن عبد الحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) بالمعروف، وينهاه عن المنكر، وكان السلطان يقبل منه ويتعظ(١٧٧).

وجدير بالذكر أنَّ هذا الدور مِن جانب موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في العصر المريني لم يقتصر على مجرَّد تقديم النصح والإرشاد للسلاطين فقط، بل طال أيضًا أرباب الوظائف الدينية الرفيعة كالقضاة وموظفي الأحباس، ولم يقتصر أيضًا على مجرَّد تقديم النصح والإرشاد فقط، بل تطوَّر إلى مرحلة التدخُّل لتغيير المنكر، مدعومين في ذلك بإعانة العامة والخاصة، فقد جاء في ترجمة خطيب جامع الأندلس عمر بن محمد الرَّجْرَاجِي (ت٨١٠هـ/١٤٠٨م) أنَّ السلطان أبا سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٨-١٤٢٠م) كان يزوره، فكان الخطيب يعظه، فيستجيب السلطان له، ثمَّ سعى هذا الخطيب " في تغيير المنكر بنفسه، وأقام الحد على من لا يجسر عليه، وتيسر له ذلك فأعانه العامة والخاصة، بحيث لو قال لهم: اقتلوا هذا؛ لفعلوا قبل تمام كلامه. وتفقَّد أمر القضاة وأصحاب الأحباس وغيَّر مَنْ لا يصلح، وصار العامة والخاصة تحت طاعته؛ لخوفه لله تعالى"(١٧٨). وقد وُصِف هذا الخطيب -لذلك- بأنه كان " قوَّالًا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم"(١٧٩).

ورويَ أنَّ وزير فاس في عهد السلطان عبدالعزيز المريني (٧٦٧-٧٧٤هـ/١٣٦٥-١٣٧٢م) عزم على غُرْم ديار فاس ورباعها كما فعل الوزير الذي قبله، فعندما علم بذلك إمام جامع القرويين الربيع سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، مشى إليه، ونهاه عن ذلك، فشعر الوزير بخوف شديد من الإمام حتى كادت الأرض أن تبلعه، وغضَّ الطَّرْفَ عن الغُرْم الذي كان قد قرَّرَ تطبيقَه(١٨٠).

أضِف إلى ذلك أنَّ المكانة التي حظي بها الخطباء كانت تمكنهم من التدخُّل للقضاء على الخلافات السياسية التي كانت تقع بين السلطان المريني وابنه وإعادة الأمور إلى نصابها مرَّة أخرى، ومن ذلك مثلًا دورهم المهم في القضاء على الخلاف الذي دبَّ بين السلطان أبي عثمان سعيد (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) وابنه (وولي عهده) أبي الحسن علي، والذي نتج عنه أنْ نزع السلطان

عن ابنه كل السلطات السياسية، وأمره بالانتقال من سكنى فاس الجديد إلى سكنى قصبة فاس العتيقة على فرسه وحيدًا دون أنْ يركب معه أحد من جيشه ولا خاصته، حيث بقي محجورًا عليه مدة إلى أنْ تدخَّل عدد من الفقهاء والصلحاء – منهم الخطباء– فشفعوا له عند أبيه السلطان، فتقبَّل منهم، ورضي عنه، وأعاده إلى ولاية العهد(١٨١).

هذا؛ ولم يكن موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في هذه الفترة بمعزل عن الأحداث السياسية الكبرى، وفي مقدمتها الجهاد ضدَّ النصارى ببلاد الأندلس، بل تفاعلوا معها وشاركوا فيها، فقد شارك الخطيب الفاسي أحمد بن محمد بن حزب الله في معركة طريف(١٨٢) سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م)، واستشهد فيها(١٨٣).

وهكذا يتضحُ أنَّ الأئمة والخطباء كان لهم مكانة عند الناس، فالناس يثقون فيهم أكثر من ثقتهم في رجال السياسة والحرب، ويأتمرون بأمرهم؛ لخوفهم لله تعالى وحرصهم على قول الحق. ولهذه المكانة كان السلاطين وكافة رجال الدولة يقدرونهم ويخشونهم ويتقرَّبون منهم ويمنحونهم الهدايا؛ حبًّا فيهم وتقديرًا لمكانتهم وتقرُّبًا للعامة عن طريقهم.

وعلى الرغم من ذلك؛ فأحيانًا كانت العلاقة تسوء بين بعض موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس وبين السلطان المريني، ومن أبرز الحالات التي يحدث فيها ذلك عندما يكثر أحدُهم في أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر ويبالغ في ذلك، حتى يشعر السلطان أنَّه يتدخَّل في شؤونه، فيأتي ردُّ فعله قويًا، مثلما حدث من جانب إمام جامع الشطة بفاس القديمة أبي إبراهيم الأعرج (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الذي أكثر مرَّة في أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) بالمعروف ونهيه عن المنكر، فتضايق السلطان واعتبر ذلك تدخلًا في شؤونه، فجاء ردُّ فعله قاسيًا، حيث أمر الإمامَ بالخروج من فاس، فلما خرج أصاب السلطان وجعٌ شديد، فاستقرَّ في ذهنه أنَّ ذلك جزاء ما فعله مع الإمام أبي إبراهيم، فأمر بردّه إلى فاس القديمة، فرفض الإمام دخول المدينة حتى يخرج السلطان منها، وقال :"لا أكون أنا وهو في بلد واحد". فخرج السلطان في الحين، فسكن وجعُه، وأمر ببناء المدينة البيضاء (فاس الجديد)(١٨٤).

ومن هذه الحالات أيضًا أنْ يقع عقابُ السلطان على بعض موظفي إقامة الوظائف الدينية بمساجد فاس إذا ما تغيب عن حضور احتفال مهم، مثل الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، فقد كان السلطان أبو الحسن علي المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١- ١٣٥١م) من السلاطين الذين اشتهروا بعنايتهم بالاحتفال بهذه الليلة، حيث جرت العادة بوصول الشرفاء والقضاة والفقهاء والأئمة والخطباء من أهل البلاد لشهود الاحتفال بتلك الليلة[١٨٥]، وكان السلطان يهتم بإقامة ذلك الاحتفال في كل ظروف الحياة التي يعيشها، سواء في حال الإقامة أو في حال السفر، ولا يمنعه مانع من إقامته حتى في حال المرابطة والتأهب للحرب مع الأعداء، وقد حدث أنْ حلَّتْ هذه الليلة والسلطان مرابط بسبتة على نية العبور إلى الأندلس من أجل الجهاد، فتخلَّف عدد كبير من الشرفاء والعلماء كان منهم عدد من أئمة مساجد فاس وخطبائها، في حين حضر منهم خطيبُ جامع القرويين أبو الفضل المَزْدَغِي، فسأله السلطان عن سبب عدم حضور سائر القضاة والفقهاء والأئمة والخطباء، فأجابه بأنهم ربما ظنوا أنَّ السلطان سيتخلى عن الاحتفال بسبب الانشغال بالجهاد، فما كان من السلطان إلا أنْ أصدر أمرًا بإيقاف مرتبات الذين تغيَّبوا ومعاقبتهم، وكان مِمَّن مسَّهم العقاب خطيبُ الجامع الكبير بفاس الجديد، وهو أبو عبد الله بن عبد الرزاق (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)؛ إذ لقيه ابن مرزوق التلمساني (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م) خارج مدينة فاس عقب الحادثة المذكورة، فسأله عن أحواله، فأخبره بأنه ومن معه عوقبوا بالضرب بالسياط[١٨٦].

وفي هذا المنحى سلَّطت المصادرُ ضوءًا كاشفًا على دورٍ سياسي كبير قام به أحد خطباء جامع القرويين في أواخر عهد الدولة المرينية، وهذا الخطيب هو الشيخ الفقيه عبد العزيز بن موسى الورياغلي الفاسي (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م) الذي كان يُعْرَفُ بـ (الصاعقة)؛ لما يغلبُ عليه من حِدَّةٍ وجَرْأة[١٨٧]، كما لقَّبه البعض بـ (صاعقة الأرض) [١٨٨]، وبـ (صاعقة الزمان) [١٨٩]، ومعناه أنَّه رجلٌ صالح، دعوته لا تخطئ أبدًا، كما وصفته المصادر بأنه "كان جلدًا في ذات الله، صلبًا في دين الله تعالى، يُلْقِي بنفسِه في العظائم ولا يبالي"[١٩٠]، ووصَفته أيضًا بـ (الغُندور)[١٩١]، وهو الشجاع ذو النخوة والإباية الذي لا يخشى أحدًا[١٩٢].

وقد قاد هذا الخطيب ثورة ضدَّ السلطان أبي محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٥م)، حيث انقلبت العامة بسببه على هذا السلطان[١٩٣]، وفي ذلك يقول صاحب (جذوة الاقتباس) :"وهو الذي ثارت العامة على يده على عبد الحق المريني الأصغر"[١٩٤]، ويقول صاحب (نيل الابتهاج) :"الفقيه الخطيب البليغ المصوّت الرئيس، كان جلدا في ذات الله صلبًا في دين الله تعالى، يلقي بنفسه في العظائم ولا يبالي ... كان فقيها خطيبًا بالقرويين ... وعلى يديه كان القيامُ على عبد الحق المريني"[١٩٥].

والذي حدثَ أنَّ الدولة المرينيَّة عاشت وضعًا سياسيًّا غير مستقر في عهد هذا السلطان، نتج عنه كثرة الفتن والمحن وتدهور أحوال الرعية، فقد كان أطول سلاطين بني مرين مدةً وأعظمهم محنة وشدة[١٩٦]، مِمَّا نتج عنه ضعف بني مرين، وهو ما أرَّخ له الناصري قائلًا :"وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا، وتداعى إلى الانحلال، وكان التصرُّف للوزراء والحجاب"[١٩٧]. وإزاء ذلك استبدَّ هؤلاء الوزراء والحجَّاب في حكمهم وجاروا على الرعيَّة بعدما أصبحوا شبه مستقلين، ينازعون السلطان عبد الحق المريني السلطةَ داخل فاس وخارجها، فكان عليه أنْ يرسلَ الحملات العسكرية الواحدة تلو الأخرى؛ ليقضي على الثورات المستمرة التي اندلعت ضدَّه، وأحيانًا كان يضطر إلى ترك العاصمة (فاس)؛ ليقمعَ بنفسه بعض هذه الثورات[١٩٨].

وكان في مقدمة هؤلاء الوزراء الوزير أبو زكريا يحيى الوطَّاسي الذي سعى مع إخوته وأقاربه إلى خلع السلطان عبد الحق، وعامل الرعيَّة معاملة قاسية وظالمة، فلم يُثِرْ ذلك حفيظة السلطان بقدر ما أثار حفيظتَه تعاظمُ نفوذِ هذا الوزير، حيث خاف أنْ ينقلبَ عليه، فبطشَ به وبأفراد حاشيته والمقربين منه، ونكَّل بهم، وقتلهم جميعًا باستثناء أخوين لأبي زكريا تمكَّنا من الفرار، وكان هدفُه من ذلك الحفاظُ على ملكه وليس رفع المعاناة عن كاهل الرعية ببسط العدل فيهم وإرجاع الحقوق لأصحابها، فما كان من الرعيَّة إلَّا أنْ نقمت عليه ظلمَه، وتناقل الناسُ في مجالسهم سوءَ أفعاله وتقديمَه مصلحتِه الشخصية على المصلحة العامة للناس[١٩٩].

أضف إلى ذلك أنَّ اليهود كانوا قد تحكَّموا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بعدما حقَّقُوا مكانة مرموقة لدى سلاطين بني مرين، وكان عدد منهم يُضمر الشر للدولة المرينية، ويسعى في خرابها[٢٠٠]. وقد زاد هذا الأمر في عهد هذا السلطان بصورة ظاهرة للعيان، ونظرًا لأطماع بني وطَّاس من الحجَّاب والوزراء في التحكُّم في الحكم والسيطرة عليه، وسعيهم إلى الإطاحة بالسلطان عبد الحق؛ قرَّر السلطان ألَّا يعيّن أحدًا من المسلمين وزيرًا له، وقام بتعيين وزيرين من اليهود، هما: (هارون، وشاويل)، وأطلق يديْهما في الحكم وإدارة شؤون الدولة، وخاصة فيما يتعلق بجمع الأموال وتحصيل الضرائب من الرعيَّة، وذلك كنوع من أنواع رفض سيطرة الوزراء والحجَّاب عليه من ناحية، ونوع من الأدب على موقف الناس منه من ناحية أخرى وميلهم إلى محمد الوطَّاسي، أحد الأخوين الناجيين، الذي تمكَّن من السيطرة على مدينة أصيلا[٢٠١].

وقد أساء هذان اليهوديان الإدارة، وأمعنا في إذلال الناس بمدينة فاس، وهو ما أرَّخ له الناصري قائلًا :"فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال، واعتزَّ اليهود بالمدينة، وتحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم"[٢٠٢]. ولم يقتصر الأمر في ذلك على الرجال فقط، بل طال النساء أيضًا، فقد قبضَ أحد أتباع الوزير هارون اليهودي على امرأة من أهل فاس، واعتدى عليها بالضرب، فأخذت تتوسَّل برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فاغتاظ اليهودي، وبالغ في تعذيبها، فهاج الناس بسبب ذلك[٢٠٣].

هنا برز دور الخطيب عبد العزيز بن موسى الورياغلي ومكانته عند الناس وتحركهم بتحرّكه، فقد توجّهوا إليه، واشتكوا له ظلم السلطان وتسلط وزرائه من اليهود، معتمدين على شجاعة هذا الخطيب وعدله ودعائه المستجاب[٢٠٤]، حيث قالوا له :"ألا ترى إلى ما نحن فيه من الذلة والصغار، وتحكُّم اليهود في المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالُهم إلى ما سمعت"[٢٠٥]. وقد أثَّر قولهم هذا في نفسه، فأفتى على الفور بالفتك باليهود، وخلع بيعة السلطان عبد الحق، ومبايعة الشريف أبي عبد الله الحفيد، فأجابه الناس إلى ذلك، وقادهم بنفسه إلى حارة اليهود، فصادر أموالَهم، وكسر شوكتهم، وقد بلغ الخبر السلطان، وكان خارج مدينة فاس،

فجعل الجند يذمون صنيع اليهودي بالمرأة المسلمة، فشعر السلطان بخطورة الموقف، فاستشار الوزير هارون اليهودي في الأمر، فأشار عليه ألا يدخل مدينة فاس، وأنْ ينحاز إلى مدينة مكناس[٢٠٦]، وما كاد هارون يتلفَّظ برأيه حتى تناوله أحدُ أتباع السلطان برمحه مدعومًا بثورة الخطيب، حيث صرخ قائلًا :"ما زلنا في تحكُّم اليهود، واتِّباع رأيهم، والعمل بإشارتهم"[٢٠٧].

نتجَ عن تحرُّك الخطيب والناس ضدَّ السلطان أنْ تشجَّع الجند وانحازوا إلى صفوف المعارضة، وأمروا السلطان أنْ يتقدَّم أمامهم إلى مدينة فاس، ثمَّ قاموا بتسليمه إلى الشريف عبدالله الحفيد، فانتزع منه خاتم الملك، وأركبه على بغل بالبردعة، والناس ينظرون إليه. وفي صبيحة يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من شهر رمضان عام (٨٦٩هـ/١٤٦٥م) ضُرِبت عنقه، فانتهت بمقتله دولة بني مرين[٢٠٨].

وحتَّى نكون منصفين؛ وجب علينا أنْ نبيَّن أنَّ دعوةَ الخطيب عبد العزيز بن موسى الوريغالي بخلع طاعة السلطان عبد الحق وتحريض الناس على قتله قد وجدت معارضة شديدة من أحد الشيوخ المشهورين آنذاك، وهو الشيخ أحمد زروق (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) الذي عبَّر عن موقفه برفضِ الصلاة خلف عبد العزيز بجامع القرويين[٢٠٩]، فاتُّهم بسبب ذلك باليهوديَّة، وهو ما أرَّخ له قائلًا :"أوَّل خروجي من البلد (يقصدُ فاسًا) قال رجل من البلد لآخر: هذا من يهود فاس ... فسمعها طالب يعرفنا فنازعهما، ثمَّ لما كان الليل دخلنا مسجدا بعد صلاة المغرب لنبيت فيه فإذا بأصحابه يتحدثون بنا معتقدين أني يهودي، فإذا شيخ منهم يعرفنا قال: هذا طالب أعرفه من فاس"[٢١٠].

المطلب الثاني: الدور الإداري:

جمع عددٌ من الأئمة والخطباء بين وظائفهم الأساسية المتمثِّلة في الإمامة والخطابة ووظائف إدارية أخرى في ديوان حكومة بني مرين بالمغرب الأقصى، مما يدل على المكانة العالية التي تبوؤها في ظلِّ الحكم المريني هناك، والثقة التي نالوها من سلاطين بني مرين، وكذلك ما أظهروه من براعة فائقة وإخلاص متناهٍ

وخبرة كبيرة في العديد من شئون الإدارة. ويمكن تقسيم المناصب والوظائف الإدارية التي شغلوها إلى قسمين: وظائف مرتبطة بالمسجد، ووظائف عامة.

(١) وظائف مرتبطة بالمسجد:

أ- **الإشراف على أحباس المسجد:** بمعنى أنْ يتولَّى إمام المسجد وظيفة إضافية هي وظيفة (ناظر الحبس)[٢١١]، وفي هذه الحالة كان يتم جمع الإيرادات الخاصة بالوقف على المسجد، ثمَّ يقوم الإمام أوالخطيب بتوزيعها على الذين يعملون في الجامع من الخطباء والمؤذنين والوقادين والقومة وغيرهم[٢١٢]، وفي هذا الصدد يذكر الحسن الوزان أنَّ من وظيفة إمام جامع القرويين إدارة إيرادات جامعة؛ إذ عليه أن يمسك حسابا مدققا للأموال التي تُجبى من الأملاك الموقوفة على الجامع [٢١٣]. وبصفة عامة لم يكن للأوقاف على الفقراء والمساكين نظارة خاصة بها في العصر المريني، وإنما كانت تسند إلى أئمة الجوامع، مثلما كان عليه الحال بالنسبة لإمام جامع القرويين[٢١٤]، الذي "كان يوزِّع الإيرادات المخصصة للفقراء، سواء أكانت من الدراهم أم من الحبوب؛ كي يوزعها في كل عيد على فقراء المدينة"[٢١٥]. ويُذْكَرُ أنَّ السلطان أبا عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) أمر ببناء مستودع وثيق البناء؛ لكي تُودع فيه أموال الأحباس الضخمة، كما أمر أن يكون لكل باب من أبواب المستودع قفلان لهما مفتاحان، أحدهما يستقر بيد القاضي المسؤول عن أحباس مدينة فاس، والآخر بيد خطيب جامع القرويين المشرف على أحباسه[٢١٦].

وفي حالة إذا حدث زيادةٌ في رَيْع حبس الجامع، وعجز إمامُه عن مباشرة إدارته ونظره مع وظيفته الرئيسة المتمثِّلة في إمامة الناس في الصلوات؛ كان يُقَدَّمُ ناظرٌ متخصصٌ غير الإمام ليقوم بإدارة الرَّيْع، ويتفقَّد أحواله مقابل مرتَّب معلوم، وقد أفتى بذلك الفقيه الفاسي عبد الله العبدوسي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م) [٢١٧]، الذي سُئِل عن "حبس مسجد لنظر إمامه، زاد رَيْعُه على ما كان عليه من قبل، وعجز الإمام عن النظر، وأريد تقديم ناظر ليقوم به، ويتفقَّد أحواله على مرتَّب من فائد الحبس"، فأجاب بأنه "يجوز له أخذ المرتب على ذلك، وإن لم يكن مرتبًا في أصل الحبس"[٢١٨].

وكان من سمات العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م) ضعف سيطرة أئمة مساجد فاس على الإشراف على الأحباس الضخمة الخاصة بالمساجد، وذلك في ظلِّ سيطرة بعض سلاطين بني مرين، مصداق ذلك أنَّ بعض هؤلاء الحكَّام اعتادوا أنْ يقترضوا مبالغ ضخمة من الأوقاف المحبوسة على بعض هذه المساجد من أئمتها المشرفين عليها دونَ أن يردوها[٢١٩].

ب- الإشراف على خزانة الكتب الموجودة في المسجد: فقد أوكل الحاجب عبدالله الطريفي مهمة الإشراف على خزانة الكتب التي توجد في مسجد السوق الكبير الذي بناه سنة (٨١٠هـ/١٤٠٨م) إلى إمام هذا المسجد[٢٢٠].

(٢) وظائف عامة:

أ- النِّيَابَة عن السلطان في الاحتفالات المهمة بمدينة فاس: وكان في مقدمتها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي كان السلطان يوسف بن يعقوب المريني أوَّل من احتفل به في عصر الدولة المرينية بجميع أنحاء المغرب الأقصى سنة (٦٩١هـ/١٢٩٢م)، وعيَّن خطيب جامع القرويين محمد بن أيوب أبي الصبر نائبًا عنه في الإشراف على إقامة رسم الاحتفال به في مدينة فاس (عاصمة الدولة)، كما أرَّخ لذلك ابن أبي زرع[٢٢١].

ب- خطة القضاء: وذلك من منطلق أنَّهم أهلُ علم ودين وفصاحة وبلاغة[٢٢٢]، وهي شروط رئيسة يجب توافرها في القاضي. وكان السلطان بنفسه يسند إلى الإمام والخطيب مهمة القضاء، وبخاصة إمام جامع القرويين وخطيبه باعتباره الأعلى منزلة بين أئمة مساجد فاس وخطبائها، فقد ولَّى السلطانُ يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م) الفقيهَ الشيخَ الخطيب محمد بن أيوب أبي الصبر (ت٦٩٣هـ/١٢٩٤م) خطة القضاء مع الخطابة بجامع القرويين في سنة (٦٨٧هـ/١٢٨٨م)[٢٢٣] التي يقول ابن أبي زرع في التأريخ لأحداثها :"وفيها أُخِّرَ الفقيه أبو حامد البقال عن قضاء مدينة فاس وولي القضاء مكانه الخطيب محمد بن أيوب أبي الصبر"[٢٢٤]. وكان الفقيه محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م) خطيب جامع القرويين وقاضيَ مدينة فاس في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-

١٣٣١م)[٢٢٥]، فأقرَّه ابنُه السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٩م) على ذلك في البداية، ثمَّ قلَّده الخطابة بجامع مدينة فاس الجديد وقضاء الجماعة بفاس[٢٢٦]. وكان أحمد بن قاسم القباب (ت٧٧٧هـ/١٣٧٦م) خطيبًا بجامع القرويين ثمَّ أُضِيفتْ له خطةُ القضاء[٢٢٧]، كما كان عيسى بن علال الكتامي المصمودي (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م) إماما وخطيبًا لجامع القرويين، ثمَّ أسندت إليه خطة القضاء[٢٢٨]، فأصبح إماما وخطيبا وقاضيا في الوقت نفسه[٢٢٩].

ج- خطة التركات وودائع أموال الأوقاف والأيتام المعتبرين: وذلك بفضل علو قدرهم ومكانتهم، ومنهم خطيب جامع القرويين وإمامه محمَّد بن يحيى المزدغي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذي قال عنه ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) :"وكان لكبر قدره وعلو منصبه قد تخير للنظر في التركات وودائع أموال الأوقاف وكثير من الأيتام المعتبرين"[٢٣٠]. وفي هذا الصدد يذكر ابن الوزان الزياتي عندما ذكر أنَّ إمام جامع القرويين كان "يمسك حسابًا دقيقًا ومتقنًا عن الأموال والأملاك التي تُقَدَّم لحساب الأولاد القاصرين"[٢٣١].

د- خطة الإفتاء والمشاورة: وذلك بحكم أنهم كانوا من أهل العلم والفضل، فقد جاء في ترجمة محمد بن عبد العزيز التازَغْدِي (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠) ما نصُّه "المفتي المحقق المتفنن المشاور الخطيب البليغ الأفصح"[٢٣٢]، وهو ما أكَّده التنبكتي بقوله :"مفتي فاس، وحافظها، وخطيب جامعها الأعظم"[٢٣٣].

هـ- التدريس في المدارس المرينيَّة: وذلك بحكم تخصصهم في العلوم الدينية، وفي مقدمتها الفقه، باعتبارهم كانوا فقهاء في المقام الأول، وكذلك لاعتبار المسجد جزءًا من المنظومة التربوية التي عملت المدارس المرينية على تنفيذها، ولعلَّ كثرة الحالات التي كان يتمُّ فيها الجمع بين الخطابة والتدريس هو ما دفع أحد الباحثين لأنْ يقول :"كان يصعب أحيانًا التمييز بين وظيفة التدريس ووظيفة الخطابة"[٢٣٤]. وكان مِنْ الذين درَّسُوا في تلك المدارس الخطيب أحمد بن محمد بن حزب الله الخَزْرَجِي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)[٢٣٥]، وكذلك خطيب جامع القرويين أبو الفضل محمد بن أبي الحسن يحيى المزدغي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذي كان

يجمع بين الخطابة في الجامع المذكور والتدريس في المدرسة المصباحية التي انتهى من بنائها السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م)[٢٣٦]، وكذلك الخطيب موسى الخلطي المعروف بالعربي (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م) الذي كان مدرسًا في المدرسة البوعِنانية (المتوكلية)[٢٣٧] التي انتهى من بنائها السلطان المريني أبو عنان (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)[٢٣٨]. ومنهم أيضًا خطيب جامع القرويين أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي المكناسي الشهير بالحبَّاك (ت٨٧٠هـ/١٤٦٦م) الذي كان يدرِّس الفقه والتصوف في المدرسة نفسها[٢٣٩].

المطلب الثالث: الدور الاجتماعي:

كان بعض الأئمة والخطباء يقومون بدور مهم في المجتمع، يتمثَّل في إصلاح النفوس وتوعية الناس بقواعد الشريعة وأحكامها الصحيحة، فقد كان إمام جامع القرويين وخطيبه محمد بن إبراهيم بن عبَّاد النَّفْزِي (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م) يقدِّمُ النصائح للناس بشكل مستمر، ويسهم في حلِّ مشاكلهم المختلفة، كما كان يتألَّف قلوب الأطفال الصغار، وكانوا إذا رأوه؛ ازدحموا على تقبيل يده[٢٤٠]، ويُذْكَرُ أنَّه أسهم في توبة عدد كبير من مذنبي أهل فاس، لدرجة أنَّ أحدَهم تصدَّقَ حين تاب على يديه بعشرة آلاف دينار ذهبًا[٢٤١].

وفي هذا المنحى كان لبعض الخطباء دور كبير في القضاء على البدع التي كانت منتشرة في فاس من خلال تقديم النصح والإرشاد في خطبهم[٢٤٢]، وكان خطيب جامع القرويين عبدالله بن محمد بن موسى بن معطي العَبْدُوسي (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) "إمامًا في نصح الأمة، أمات كثيرًا من بدع المغرب، وأقام الحقوق والحدود، ... كان يعمل الخوص (ورق النخل) خفية ويعطيه لمن لا يعرف أنها له يبيعها ويتقوَّت بها في رمضان"[٢٤٣]. ومما يُذكر لخطيب جامع القرويين عبد العزيز بن موسى الورياغلي الفاسي (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م) أنه حبس زيتونًا على رجلٍ كان يقول بالجامع المذكور بعد إقامة الصلاة به :"عدِّلُوا الصفوف رحمكم الله"[٢٤٤].

وبالإضافة إلى كلِّ ذلك، كان لبعض الأئمة والخطباء دور مجتمعي وقت المحن، حيث كانوا يشاركون أهل فاس في الأوقات الصعبة التي كانت تمرُّ عليهم، وخاصة عندما يقعُ بعض ذويهم في الأَسْر مِنْ قِبَل العدو النصراني، وفي هذا الصدد يذكر أحدُ سكَّان مدينة فاس أنَّ هذا العدو أَسَرَ زوجة أبيه وأختين له صغيرتين، وذهب بهن إلى مدينة مَيُورْقَة[٢٤٥]، وكان العام عام مجاعة شديدة، فتوجَّه أبوه إلى إمام جامع الشّطَة بفاس القديمة، وهو أبو إبراهيم الأعرج (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤)؛ كي يعينه على تدبير مبلغ فداء زوجته وابنتيه، وعرفه بالأمر، فما كان من الإمام إلا أنْ تفجَّع كل التفجّع بسبب ذلك، وأخرج نصف دينار، وقال: "والله ما أملك غير هذا"، ودفعه إليه، وأخبره بأنْ يمرَّ عليه في الغد، وكان العام عام مجاعة وغلاء سعر، وعندما عاد إليه الأب أعطاه الإمام ستة وعشرين دينارًا ذهبًا، وذكر له أنَّه لما عرف مشكلته؛ ناله كرب عظيم، فدعا الله أنْ يفتح فيما يعينه به، فدخل عليه شخص وقدَّم إليه ذلك المبلغ لإعطائه لمن يحتاج إليه، فدعا له وشعر بسعادة بالغة؛ لأنَّ هذا المبلغ سيسهم في فك أسر الأسيرات، وهو ما حدث بالفعل، يقول راوي الحدث :"فرأينا بركة دعائه، ويسر الله تعالى في فدية الأهل"[٢٤٦].

ولا يخفى أنَّ الخبر السابق يكشف عن دور مجتمعي مهم قام به خطباء مساجد فاس، يتمثَّلُ في ثقة ميسوري الحال من أهل الصلاح فيهم، بحيث كانوا يقدمون إليهم الصدقات وما تيسَّر من الأموال؛ كي ينفقوها في مواضعها الصحيحة بما يسهم في تفريج كُرَب النَّاس في الدنيا.

ومن مظاهر هذا الدور المجتمعي أيضًا أنَّ أهلَ فاس كانوا على ثقة تامة في صلاح بعض أئمة الجوامع ونتائج دعائهم المستجاب، وحرصهم على مشاركة الناس في الأزمات الناتجة عن غياب المطر لفترات طويلة؛ ولذا كانوا يتوجهون إليهم، ومن أمثلة ذلك أنَّ المطرَ حُبِسَ عن الناس في المدينة، فذهبوا إلى إمام جامع الأندلس وخطيبه بها، وهو علي بن عبدالرحمن الأنفاسي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥)، وسألوه أنْ يستغيثَ لهم ويستسقى، وألحوا عليه في ذلك، فلما كان الغد أخرجَ ما عنده من الزرع وصيَّره صرة في صحن جامع الأندلس، ثمَّ

تصدَّقَ به، وقال للناس: "الآن أبكي كبكاء المسلمين!"، فاستسقى بهم، فنزل المطر[٢٤٧].

وكان لعدد من أئمة مساجد فاس وخطبائها دور مجتمعي آخر مهم، تمثَّل في تقديم الفتاوى للعامة والمسؤولين في قضايا المجتمع ونوازل العصر الطارئة، وذلك من منطلق علمهم وثقة الناس في رأيهم، حيث عادوا إليهم؛ للأخذ برأيهم في القضايا والنوازل الطارئة، ومنهم إمام جامع الشطة بفاس أبو إبراهيم الأعرج (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤)[٢٤٨]، وخطيب جامع الأندلس عمر بن محمد الرجراجي (ت٨١٠هـ/١٤٠٨م) الذي أخذ قاضي فاس في عهد السلطان أبي سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٨-١٤٢٠م) برأيه الذي أفتى به والذي نصَّ فيه على أنَّه لا يُقْلَعُ بنيان مَنْ بنى على أرض تابعة للمخزن وسكن بها مدَّة، وقد ظلَّ معمولًا بهذا الرأي طيلة عصر بني مرين[٢٤٩]. ومنهم أيضا إمام جامع القرويين وخطيبه عيسى بن علال المصمودي (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م) الذي أفتى الناس في عدد من القضايا الطارئة التي تخصُّ المساجد وغيرها[٢٥٠]. ومنهم أيضا خطيب الجامع الكبير بفاس الجديد محمد بن عبدالعزيز التَّارْغَدْرِي (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م) الذي كان له فتاوى كثيرة في نوازل متعددة، ذكر الونشريسي جملة منها[٢٥١]، وكذلك خطيب جامع القرويين عبد الله العبدوسي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م) الذي عاد إليه الناس في كثير من النوازل الطارئة خلال العصر المريني[٢٥٢].

ومما سبق يتضح أنَّ أئمة مساجد فاس وخطباءها كان لهم دور مجتمعي مهم، جاء في مقدمته تقديم النصح والإرشاد للناس بما أسهم في توبة بعضهم والقضاء على بعض البدع المنتشرة، وكذلك الإسهام في تفريج كُرَب أهل فاس ومشاركتهم الأوقات الصعبة وقت الكوارث الطبيعية، وكذلك تقديم الفتاوى في قضايا العصر ونوازله الطارئة على مستوى العامة والمسؤولين.

المطلب الرابع: الدور العلمي:

لم يقتصرْ دور أئمة مساجد فاس وخطبائها على أداء مهام وظيفتهم فقط، بل كان لهم دور علمي باعتبارهم علماء وفقهاء في المقام الأول، فقد كان إمام جامع

الشَّطة أبو إبراهيم الأعرج (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) فقيها مشهورًا في فاس، اختلف مع فقهائها في بعض المسائل الفقهية، وكان الصواب حليفه فيها[٢٥٣].

وكان خطيب جامع الأندلس عمر بن محمد الرَّجْرَاجِي (ت٨١٠هـ/١٤٠٨م) "عارفًا بالحساب والفرائض"[٢٥٤]، أخذ عنه بعضُ أهل فاس، ومنهم عيسى بن علّال (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[٢٥٥] الذي أصبحَ إمامًا وخطيبًا لجامع القرويين بعد ذلك، كما كان الرَّجْرَاجِي عالمًا مشاوَرًا أيضًا، أخذ عنه عددٌ من أبناء عصره، كما كان له رحلة سمع فيها[٢٥٦]، وله أيضًا تعليق على مختصر ابن عرفة[٢٥٧]. وكان خطيب الجامع الكبير بفاس الجديد محمد بن عبد العزيز التَّازْغَدْرِي (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م) فقيهًا عالمًا، تفقَّه على يديه عددٌ كبير من أبناء فاس، وله تعليق على شرح المدونة لأبي الحسن الصغير[٢٥٨]. وجاء في ترجمة خطيب القرويين أحمد بن سعيد القَيْجَمِيسي (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٦م) أنه كان "فقيهًا متصوفًا شاعرا فصيحا ظريفا علَّامة، نظم مسائل ابن جماعة في البيوع، وقال الشعر النفيس في التصوف وغيره"[٢٥٩].

كما كان لبعض الأئمة والخطباء مجالس علمية في الجوامع التي يباشرون فيها عملهم، فقد كان لخطيب جامع القرويين محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٨م) مجلس في الجامع، يقرئ فيه: الموطأ، والبخاري[٢٦٠]، وعلم الأصول، "لا يتخلَّف عنه فقيه معروف"[٢٦١]، وفي المنحى نفسه كان لإمام الجامع نفسه يوسف بن عمر الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) مجالس لقراءة العلم والتصوف[٢٦٢]، كما كان لإمام جامع الأندلس وخطيبه علي بن عبدالرحمن الأنفاسي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م) مجلس علمي بالجامع نفسه، "انتفع به من قراءة المدونة جماعة كثيرة"[٢٦٣].

ومِمّا يؤكِّد أهمية الدور العلمي للأئمة والخطباء في المجتمع الفاسي وثقة الناس فيه وإقبالهم عليه أنَّ أهل فاس كانوا يقرؤون من خطب إمام جامع القرويين وخطيبه محمد بن إبراهيم بن عبَّاد الرُّنْدِي (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) ما يتعلَّق بمولد النبي صلَّى الله عليه وسلم ومعجزاته بين يدي السلطان المريني؛ تبركًا به، وكذا

يقرؤونها في المجتمعات في المواسم المختلفة، ومنها: أول شهري رجب وشعبان، ونصفهما، والسابع والعشرون منهما، ورمضان[٢٦٤].

ومن بين الأدوار العلمية التي قام بها أصحاب الوظائف الخاصة بإقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس أيضًا قيامُهم بالتأليف العلمي في مجال التخصص وفي غيره، ومن هؤلاء إمام جامع القرويين وخطيبه محمد بن إبراهيم بن عبَّاد الرُّندي (ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، الذي ألَّف سبعة كتب من بينها كتابان في تخصص الإمامة والخطابة[٢٦٥]، أحدهما بعنوان (تحقيق العلامة في أحكام الإمامة)[٢٦٦]، جمع فيه ما يحتاجه الإمام[٢٦٧]، والآخر بعنوان (الخطب المعلومة في المواسم)، علَّق عليه الشيخ أحمد زروق (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م) قائلًا: "والقصد بها: تنبيه الغفلة، وإفادة العوام" [٢٦٨]. وقد علَّق الشيخ عبد المجيد الزبادي (ت ١١٦٣هـ) على قول الشيخ أحمد زروق قائلًا: "وقول الشيخ أحمد زروق (الخطب المعلومة في المواسم) ظاهره أنه لم يقف على غيرها. وقد وقفت على هذه الخطب مجموعة، وهي نحو الخمسة عشر خطبة، كل واحد منها تأليف في موضوعه لا مزيد عليه، ووقفت على خطبه العامة المشتملة على الوعظ والتذكير والإغراء والتحذير والإنذار والتبشير والترغيب والترهيب والتنبيه على العوارض الوقتية التي لا تنضبط لزمان، رأيت من ذاك مجلدا كبيرًا ضخمًا"[٢٦٩].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مسألة تأليف الكتب في التخصص وغيره لم تقتصر على الأئمة والخطباء فقط، بل شاركهم فيه غيرُهم من موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس، مصداق ذلك أنَّ الميقاتي بجامع القرويين عبد الرحمن الجاديري (ت ٨١٨هـ/١٤١٥م) "كان جغرافيًّا فلكيًّا متفوقًا"[٢٧٠]، أخذ العلم عن عدد من العلماء، يأتي في مقدمتهم الأستاذ محمد بن عمر المؤقت[٢٧١]، وقد ألَّف مجموعة من الكتب، مِن بينها كتابان مرتبطان بمجال التخصص (المواقيت)، هما: تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، وروضة الأزهار في علم وقتي الليل والنهار [٢٧٢].

من حصاد ما سبق، يمكن التأكيد على أنَّ موظفي إقامة الوظائف الدينية بمساجد فاس خلال العصر المريني، وفي مقدمتهم الأئمة والخطباء، كان لهم دور

سياسي فعَّال وبخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين العامة والحاكم وبالأحداث السياسية الكبرى. كما كان لهم دور مجتمعي تمثّل في هداية بعض أهل فاس، والقضاء على البدع المنتشرة في المجتمع الفاسي، والمشاركة في قضايا العصر الطارئة من خلال تقديم الفتاوى للناس والمسؤولين بخصوصها. كما كان لهم دور علمي تمثَّل في مجالس الإقراء في المساجد التي كانوا يباشرون فيها مهام عملهم، وإسهامهم في تلقين أهل فاس العلوم الدينية، بالإضافة إلى التأليف العلمي في مجال التخصص وغيره مِنْ جانب بعض الأئمة والخطباء وأهل المواقيت في مساجد فاس وجوامعها.

الخاتمة

دارت الفكرة الرئيسة للبحث حول (موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس ودورهم في العصر المريني)، وقد خلُصَ في النهاية إلى النتائج الآتية:

١- موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في العصر المريني هم: الإمام، والخطيب، والمؤذن، والميقاتي.

٢- كان لكل مسجد من مساجد فاس إمام يتولَّى إقامة الصلاة وإمامة الناس، وخطيب يخطب في صلاة الجمعة والعيدين، وعدد من المؤذنين وصل عددهم إلى أربعة في بعض المساجد، وزاد هذا العدد عن ذلك في المساجد الكبرى وفي مقدمتها مسجدا (القرويين، والأندلس)، بينما كان في كل مسجد من المساجد الموجودة في المدارس المرينية بفاس مؤذن واحد فقط. أمَّا الميقاتي فقد اقتصر وجوده على جامع القرويين فقط؛ حتى يحدِّدَ لمؤذني هذا الجامع مواعيد الأذان، فيؤذنون وفق ذلك، ثمَّ يقوم مؤذنو المساجد الأخرى في فاس كلها باتباع مؤذني جامع القرويين، فيؤذنون بعد أذانهم؛ حيث مثَّل هذا الجامع المركز الرئيس في تحديد أوقات الصلوات.

٣- كانت عادة إقامة الأئمة في المساجد الموجودة في مدارس فاس في العصر المريني في صلاتي الظهر والعصر خاصة، وذلك حسب العادة التي أقرتها الأحباس في ذلك.

٤- اشتهرت بعض بيوتات فاس بكثرة الخطباء، ومنها بيت بني مُسُونة الذي كان منه بجامع القرويين أكثر من عشرين خطيبًا.

٥- كان لخطباء مساجد فاس في العصر المريني زيٌّ خاص بهم، تمثَّل في كساء من الصوف الأبيض وفوقه برنس أبيض.

٦- كان تعيين أئمة مساجد فاس وخطبائها في العصر المريني يتمُّ وفق طريقتين؛ طريقة رسمية تتمثَّل في قدوم ظهير (مرسوم) من السلطان المريني فيه نصٌّ على اسم الإمام أو الخطيب المعيَّن؛ وطريقة غير رسمية يتمُّ اللجوء إليها عندما يتأخر قدوم الظهير السلطاني.

٧- اتَّبَع سلاطين بني مرين في اختيارهم للأئمة والخطباء وصيَّة الأمير عبد الحق بن محيو (٥٩١- ٦١٤هـ/١١٩٥- ١٢١٦م)، التي نصَّت على أنَّ المرجع في اختيار إمام الصلاة والخطيب يكون إلى الرعية.

٨- في بعض الأحيان كان يتمُّ عزل الإمام أو الخطيب من منصبه إذا عجز عن القيام بمهام وظيفته نتيجة مرض أو كبر سن، كما كان يتم عزله نتيجة جرحة تقدح فيه.

٩- في بعض الأحيان كان خطيب المسجد أو إمامه يستنيب مَنْ يقوم مكانه إذا عجز عن القيام بمهام وظيفته بسبب المرض، أو إذا اضطرَّ الإمام إلى الخروج لضيعته في مواسم عصر الزيتون في أيام العصير أو إذا اضطرَّ إلى الخروج إلى بلد آخر لقضاء بعض الحوائج الضرورية له.

١٠- على الرغم من أنَّ عقد التحبيس الخاص بالمسجد كان يَنُصُّ على عدد المؤذنين فيه، بحيث لا يُسْمَحُ بإحداث وظائف لغيرهم لمْ تُرَتَّبْ في أصل العقد؛ فإنَّ الأمر تغيّر في العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م)، حيث كان البعضُ يلجأ إلى أهل الجاه والنفوذ للضغط على ناظر الحبس لزيادة عدد المؤذنين عمَّا هو مرتَّبٌ في أصل التحبيس رغم أنَّ المسجد لا يحتاج إلى زيادة، وهو ما نتج عنه مشاكل تخصُّ مرتبات المؤذنين ومصادرها.

١١- تطوَّرت الطريقة التي كان الميقاتي يحدِّدُ بها مواقيت الصلاة لمؤذني جامع القرويين، ففي بداية العصر المريني كان يتمُّ الاهتداء إلى أوقات الصلوات في الجامع عن طريق بلاطات رخام تمَّ وضعُها بطريقة محكمة في القبة المخصَّصة لجلوس المؤذنين ومبيت مَنْ يراعي منهم الفجر ليلًا، ثمَّ صنع المؤقَّت محمد بن الحبَّاك مَنْجَانَة (ساعةً مائية) تعرِّف المؤذنين أوقات النهار والليل في سنة (٦٨٥هـ/١٢٦٨م)، ثمَّ صنع المؤقَّت محمد بن عبدالله الصنهاجي النطاع مَنْجَانة أخرى أكثر تطورًا بغرفة مؤذني الجامع في سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)، ثمَّ قام بتجديد هذه المنجانة الميقاتي محمد بن العربي الذي تمَّ تعيينه في الجامع للنظر في التوقيت وشؤون الأذان سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م)، كما أعد بجوارها رمليات؛ لاختبار الأوقات، فضلًا عن جملة أسطرلابات يُستعان بها في معرفة أجزاء الليل والنهار.

١٢- كان يتمُّ تخصيص دار أو حجرة لسكن أئمة المساجد، وأخرى للمؤذنين وأصحاب المواقيت، وفي بعض الأحيان كان البعضُ يقوم بتحبيس دورٍ لسكن المؤذنين، وكثيرًا ما أثيرت التساؤلات حول إصلاح هذه الدور أيكون من مال المسجد أم من مال الموظف الخاص، وقد جاءت معظم الإجابات بأنَّ الإصلاح يكون من المال الخاص للموظف.

١٣- كان موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في عصر بني مرين يتقاضون مرتبات معلومة من غلة أوقافها. كما كان السلاطين يجرون على الأئمة والمؤذنين والخطباء الذين يعينونهم في مساجد بعض المدارس التي كانوا يبنونها مرتبات ومؤنًا.

١٤- كان ينظرُ إلى موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس على أنهم أصحاب وظائف قديمة، ومن ثمَّ فهم مقدَّمون على أصحاب الوظائف المستحدثة بالمسجد من قرَّاء الكتب والمفسرين والحزابين، وذلك في بعض الأوقات التي تكون غلَّات المسجد قدر المرتبات القديمة أو أقل منها.

١٥- لم يكن هناك تفاضل بين أصحاب المرتبات القديمة (الإمام – الخطيب – المؤذن – الميقاتي)، فإذا كانت هناك زيادة في مرتباتهم، فلا يقدَّمُ الإمام على المؤذن مثلا، ولا المؤذن عليه، بل هما متساويان في ذلك، إلَّا أن يكون في أصل الحبس شرط في تقديم أحدهما على الآخر، فيمضي ذلك. أمَّا إذا حدثَ وَوُجِدَ موظفٌ متطوع فإنه كان يقدَّم على طالب الراتب.

١٦- لا يُحَط من مرتب موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس شيء إذا ما اضطرَّ إلى التغيُّب بسبب الانشغال أثناء موسم عصر الزيتون؛ قياسًا على عدم الحط من مرتباتهم في حال المرض. أمَّا إذا تغيَّبَ أحدهم عن عمله كثيرًا دون عذر مقنع، فإنه يُحَطُّ من مرتبه بقدره؛ لأنَّه محمولٌ على أن يوفي بخطته.

١٧- وبالنسبة لأئمة المساجد الموجودة في المدارس المرينية بفاس، فإذا تغيَّب الإمام عن المسجد في صلاتي الظهر والعصر المُلْزَم بالتواجد فيهما حسب العادة القائمة وإقرار الأحباس لها، وكان سبب التغيُّب المرض أو الخروج للضيعة؛ فلا

يُحَطُّ من مرتَّب الإمام شيء بسبب ذلك. أمَّا إذا كَثُرَ تغيُّبُه عنهما دون عُذْر فإنَّه يُحَطُّ من مرتبه بقدر تغيبه؛ لأنَّ التغيُّب هنا يكون من باب الإهمال.

١٨- يمكن تقسيم علاقة موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس بسلاطين بني مرين إلى طيبة وسيئة، فقد كان السلاطين يسمعون لنصائحهم ويتعظون بها ويحرصون على حضور صلاة الجمعة في المساجد والالتقاء بالأئمة والخطباء ويشملونهم بودهم وهداياهم، وأحيانًا كان بعض الموظفين يكثر على السلطان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيشعر السلطان أنَّ ذلك تدخُّل في شؤونه، فيأتي ردُّ فعله قويًا ربما وصل إلى الأمر بالخروج من فاس، كما أنه في بعض الأحيان كان عقاب السلطان يطول مَنْ يتغيَّب من هؤلاء الموظفين عن حضور الاحتفالات المهمة.

١٩- لم يكن موظفو إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في العصر المريني بمعزل عن الأمور السياسية، بل كان لهم دور فيها، وفي مقدمتهم الأئمة والخطباء، وقد تجلَّى هذا الدور في تقديم النصح والإرشاد المتمثِّل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما هو ديني وما هو غير ديني لأفراد السلطة الحاكمة، بداية من الحاكم نفسه، ومرورًا بالوزراء والقضاة وموظفي الأحباس. وأحيانًا كانوا يتدخلون لتغيير المنكر مدعومين في ذلك بدعم شعبي كبير. كما كان الخطباء يقومون مع الفقهاء والقضاة بمبايعة السلطان المريني نيابةً عن جميع الناس، كما كانوا يتدخلون لحلِّ النزاعات السياسية بين السلطان وابنه (ولي عهده)، كما شارك بعضهم في الجهاد ضدَّ النصارى في الأندلس.

٢٠- تجلَّى الدور السياسي للخطباء بشكل واضح عندما لجأ الناس إلى خطيب جامع القرويين عبد العزيز بن موسى الورياغلي الفاسي (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م) وشكوا إليه أفعال بعض وزراء السلطان عبد الحق المريني من اليهود وسكوت السلطان عن ذلك، فأمرهم بخلع طاعة السلطان، وتزعمهم في ثورة ضدَّه، انتهت بمقتل السلطان ونهاية دولة بني مرين نفسها.

٢١- جمع عددٌ من الأئمة والخطباء بين وظائفهم الأساسية المتمثِّلة في الإمامة والخطابة ووظائف إدارية أخرى في حكومة بني مرين، وكان بعض هذه الوظائف

مرتبطًا بالمساجد، مثل: الإشراف على أحباس المسجد، والإشراف على خزانة الكتب الموجودة في المسجد، في حين كان بعضها من الوظائف العامة الغير مرتبطة بالمساجد، مثل: النِّيَابَة عن السلطان في الاحتفالات المهمة بمدينة فاس، وخطة القضاء، وخطة التركات وودائع أموال الأوقاف والأيتام المعتبرين، وخطة الإفتاء والمشاورة، والتدريس في المدارس المرينية.

٢٢- كان لبعض موظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس في العصر المريني دور اجتماعي، تمثَّل في إصلاح النفوس وتوعية الناس بقواعد الشريعة وأحكامها الصحيحة والإسهام في توبة عدد كبير من مذنبي أهل فاس، والقضاء على البدع المنتشرة في المجتمع الفاسي، بالإضافة إلى دورهم النفسي والمادي في دعم بعض سكان فاس وقت الأزمات والمحن والكوارث، فضلًا عن دورهم في تقديم الفتوى للناس والمسؤولين حول النوازل والقضايا الطارئة.

٢٣- كان لموظفي إقامة الشعائر الدينية بمساجد فاس دور علمي باعتبارهم فقهاء وعلماء في الفقه والتصوف والحساب والفرائض وغيرها من فروع العلم، حيث أخذ عنهم عدد من أهل فاس هذه العلوم، كما كان لبعضهم مجالس علميَّة في المساجد التي يعملون فيها، بالإضافة إلى قيامهم بالتأليف العلمي في مجال تخصُّصِهم وفي غيره.

الحواشي

(١) للوقوف على أصلهم وبداية دولتهم انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٢٨١ وما بعدها؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣/٤- ٨.

(٢) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) مدينة فاس هي عاصمة دولة الأدارسة (١٧٢- ٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م)، أسَّسها إدريس بن إدريس (إدريس الثاني) الإمام الثاني للدولة، وهي عبارة عن عُدوتين، الأولى هي عدوة الأندلسيين التي أسست سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م)، والثانية هي عدوة القرويين التي أسست سنة (١٩٣هـ/٨٠٨م)، انظر البكري (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك، الجزء الثاني، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٤) الوليدي (ت ٦٧٥هـ): الحلال والحرام، ت: عبدالرحمن العمراني الإدريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١١ من مقدمة المحقق.

(٥) هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة الزناتي ثمَّ المريني، كان يكنى بأبي يحيى، الأمير الرابع لدولة بني مرين، حكم خلال الفترة (٦٤٢- ٦٥٦هـ/ ١٢٤٤-١٢٥٨م). للوقوف على تفاصيل مدة حكمه انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٩١-٢٩٧.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٩٣.

(٧) ابن أبي زرع: الزخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ١٦١-١٦٢؛ التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ١٢٢؛ الكتاني (ت ١٣٤٥هـ): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٣/ ١٣٥، ١٧٨؛
Provencal (l.): Notes sur six Inscriptions de Fés et de Taza,dane Livre, Les Mosquées de Fés et du Nord Maroc,Paris,1937, p.177.

(٨) شارل أندري جُوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م، ص ٢٣٩.

(٩) ذكر ابن أبي زرع أنَّ مدينة فاس انتهت في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لا سيما زمن المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤م-١١٩٨م) وولده محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م)، وأنَّ عدد المساجد بها كان يُقَدَّرُ بسبعمائة واثنين وثمانين مسجدا، انظر الأنيس المطرب، ص ٤٧؛ الجزنائي (كان حيا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ت: عبد الوهاب بن منصور،

المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٤٣-٤٤. ولا يخفى ما في الرقم المذكور من مبالغة، وربما أدخلَ فيه ابن أبي زرع المساجد الصغيرة والزوايا التي كان الناس يصلون فيها بعض الصلوات.

(١٠) قام يوسف بن تاشفين ببناء مدينة مَرَّاكش سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، واتخذها عاصمة للدولة المرابطية، واستمرَّت المدينة عاصمة للدولة حتى نهايتها، وعندما أسقط الموحدون المرابطين أبقوا عليها عاصمة للدولة الموحدية، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٣٨-١٣٩.

(١١) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٩١.

(١٢) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠م، ص٨٩.

(١٣) ابن الأحمر (ت٨٠٧هـ): بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٥٠؛ وانظر الكتَّاني (ت ١٣٨٢هـ): نظام الحكومة النبوية المُسَمَّى التراتيب الإدارية، ت: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢، (د.ت)، ١/١٣٤.

(١٤) ابن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥هـ): لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، نُشِر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، ت: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م، ص ١٧٨.

(١٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢١٧؛ رامي ربيع عبدالجواد: عمارة المساجد بمدينة فاس في المغرب الأقصى في العصر المريني ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩- ١٤٦٤م دراسة آثارية معمارية فنية، رسالة دكتوراة بقسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، ١/ ٤٣-٤٥.

(١٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤١٤.

(١٧) لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧م، ص٤٦؛

Provencal (l.): Notes sur six Inscriptions de Fés, p. 175.

(١٨) تمَّ بناء هذا الجامع على يد أبي عبدالله بن عبدالكريم الحدودي وأبي علي بن الأزرق والي مدينة مكناسة، وتمَّ الإنفاق عليه من مال معصرتها، وقد قام بالبناء الأسرى من نصارى أسبانيا الذين قدم بهم يعقوب بن عبدالحق من الأندلس حين قام بغزوها سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٦م)، انظر ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص ١٦٢.

(١٩) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ٥٢؛

Maslow (B.): Les Mosquées de Fès et du nord du Maroc, Paris, Les éditons d'art et d'histoire, 1937, p. 38.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٥٣-٥٤.

(٢١) عندما عدَّد ابن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥هـ) حجَّاب هذا السلطان ذكر منهم الحاجب

المذكور، ثمَّ قال عنه :"وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بالبلد الجديد، وحبس عليه كتبا كثيرة". جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ٢/ ٤٥٧.

(٢٢) أفاد بذلك النص المثبت على الرخامة الموجودة أسفل منارة الجامع المذكور، انظر

Bel (A.): Inscriptions Arabes de Fès,Journal Asiatique, Tome 10, Paris, 1917, p. 119.

(٢٣) الزهري (ت أواسط القرن ٦هـ/١٢م): كتاب الجغرافيا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ١٠٩، ١١٢؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ١٣؛ هاشم العلوي القاسمي: مجتمع المغرب الأقصى، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٢/ ٤٠١.

(٢٤) الوَنْشَرِيسي (ت ٩١٤هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٢٣٩/٧، فتوى لعمر الفشتالي الذي كان يعيش في القرن الثامن الهجري؛ مها صابر وآخرون: المسجد الكبير بمدينة فاس الجديد من عصر الدولة المرينية (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) دراسة تاريخية أثرية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، مج٢١، ع٣، ديسمبر ٢٠٢١م، ص ٢١٣.

(٢٥) الشراط (ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: ٣٥، ١٩٩٧م، ص ٢٨٩، حاشية رقم (٥٦٨)؛ حسين سيد عبدالله مراد: الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، الزهراء كمبيو سنتر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٦٠.

(٢٦) ابن الوزَّان الزَّيَّاتي: وصف إفريقيا، طبعة مكتبة الأسرة المصرية، ٢٠٠٥م، ٢/ ٢٢٩. وقد ميَّز بين الجوامع والمساجد بقوله :"والمساجد تكون عبارة عن أبنية صغيرة للصلاة".

(٢٧) الكتّاني: سلوة الأنفاس،٢/ ٦٠- ٦١، ٧١، ٣/ ١٧٧-١٧٨، ١٨٠.

(٢٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤١٣؛ ابن الحاج النميري (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب، ت: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ٢٠٧-٢٠٨؛ الوَنْشَرِيسي: المعيار المعرب، ٧/ ٣٠٢؛ شار أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص ٢٤١؛ عبدالهادي التازي: جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، دار نشر المعرفة، الرباط، ط٢، ٢٠٠٠م، ٣٥٩/٢؛ أحمد رمزي: دور الوقف في العمران والتكافل الاجتماعي في تاريخ فاس، بحث منشور ضمن كتاب (فاس في تاريخ المغرب) الصادر عن ندوة لجنة التراث والقيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، القسم الأول، فاس ١٨-٢٠ دجنبر ٢٠٠٨م، ص ٣٦٩.

(٢٩) وهي: الإمام، والخطيب، والمؤذن، والميقاتي، انظر الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٨٠-٨١،

٩٤؛ الونشريسي: مصدر سابق، ٥/٧، ١٧١، ٣٠٠-٣٠١؛ ابن الوزان: وصف إفريقيا، ص ٢٢٥.

(٣٠) ومنها: ناظر الحبس، والقَوَمَة، والبواب، والوقَّاد، انظر الجزنائي: مصدر سابق، ص ٧٩-٨١؛ الونشريسي: مصدر سابق، ١٧/٧-١٨، ٨٥، ٣٠١؛ ابن الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٥.

(٣١) ومنها: المدرِّس، والأستاذ، وقرَّاء القرآن، انظر الجزنائي: مصدر سابق، ص ٨٠؛ الونشريسي: مصدر سابق، ٥/٧-٦، ١٧-١٨. وجدير بالذكر أنَّ مساجد فاس كان بها خلال العصر المريني كراسي علمية لتدريس العلم، وكان بعضها بأمر من السلطان المريني نفسه، انظر الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٨٠-٨١؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ٣٠١/٧؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٤٧٢/٢؛ ابن الوزان: وصف إفريقيا، ص ٢٢٥؛ حسين سيد مراد: الأوقاف، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣٢) يأتي في مقدمتها الدراسة الرائعة التي قدمها الدكتور حسين سيد عبدالله مراد عن (الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني).

(٣٣) عبدالسلام بنسودة: حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، دعوة الحق، ع١، السنة الرابعة عشرة، يناير ١٩٧١م، ص ٥٩؛ محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني (٦١٠هـ/١٢١٣م) - (٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٣٤٣.

(٣٤) ذكر ابن الوزان (وصف إفريقيا، ٢٢٩/٢) أنَّه "لا يوجد في الجامع أكثر من إمام"، وهو ما يتعارض مع ما ذكره الدكتور حسين مراد (الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس، ص ٦٢) من أنه "كان لكل جامع أكثر من إمام".

(٣٥) ابن الوزان: مصدر سابق، ٢٣٠/٢؛ وانظر الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ٣٠١. وتجدر الإشارة إلى أنَّ مفهوم الصلاة هنا يشمل صلاة الكسوف التي كان الناس يصلونها عند كسوف الشمس، مثلما حدث في فاس يوم الأحد قرب الزوال في التاسع والعشرين من رجب سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، حيث صلَّى الإمام محمد بن أبي الصبر بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين حتى انجلت، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٠٩. كما يدخل في ذلك أيضًا صلاة التراويح التي حرص المغاربة على آدائها في شهر رمضان، الونشريسي: مصدر سابق، ١٧٢/١.

(٣٦) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله، عُرِف بابن عبَّاد الرُّنْدي، من أعلام الفقه والتصوف بالمغرب. ولد برُنْدة الأندلس سنة (٧٣٣هـ)، وبها نشأ. ثم انتقل إلى المغرب، وأخذ العلم على كبار شيوخه، ومنهم الصوفي الشهير ابن عاشر الذي قال عنه :"ابن عبَّاد أُمَّة وحدَه". من أهم مؤلفاته: شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله. توفي بفاس عام (٧٩٢هـ/١٣٨٩م). انظر المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ٥/ ٣٤١-٣٥٠.

(٣٧) الكتّاني (ت ١٣٤٥هـ): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت)، ٢/ ١٥١.

(٣٨) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ٣٠٢.

(٣٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٠٩.

(٤٠) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، ط٢، ١٩٩٨م، ١/ ٣٩٥.

(٤١) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص ١٦٢.

(٤٢) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٦٧، ٧١.

(٤٣) من الأمثلة على ذلك أنه عندما توفي إمام جامع القرويين يوسف بن عمر الأنفاسي (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) خلفه في وظيفة الإمامة ابنه أبو الربيع سليمان (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، انظر التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٢٦/٢.

(٤٤) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٣٩/١.

(٤٥) الكتاني: سلوة الأنفاس، ٣/ ١٨٩.

(٤٦) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٦٧.

(٤٧) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ٢٨١.

(٤٨) المصدر السابق، ٦١/١.

(٤٩) المقري: نفح الطيب، ٥/ ٣٤٤؛ الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٥١، ١٥٥.

(٥٠) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٧٨/١؛ الكتاني: مصدر سابق، ١٣٧/٢.

(٥١) هو لباس خارجي للرجال والنساء، رأسه ملتصقة بالثوب، يُلْبَسُ للوقاية من البرد أو المطر، انظر المالكي (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيَّة وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،٣٦٤/١؛ المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ): أزهار الرياض في أخبار عياض، الرباط، ١٩٧٨م، ٤/٤؛ إحسان حقي: تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص ٢٩٤.

(٥٢) محمد صقر: اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٧٠.

(٥٣) التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١/ ٣٢٥.

(٥٤) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ١٩٦.

(٥٥) الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٥١.

(٥٦) الشراط: مصدر سابق، ص ١٩٦.

(٥٧) ابن القاضي: مصدر سابق، ١/ ٢٣٩؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ١٦٦/٢. وأسرة التازغدري هي أسرة نابغة يرجع أصولها إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى، وقد اتخذت من مدينة فاس مقرًّا لها، وأسهمت بشكل واضح في الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية بها خلال العصر المريني، انظر

السخاوي (ت ٩٠٢هـ): الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١١/ ١٤٠؛ محمد مزين: فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، سلسلة رسائل وأطروحات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨٦م، ١/ ٢٤٦؛ الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، نشر مطابع سلا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ٦/ ٢٠٣٣-٢٠٣٤؛
Benchekroun (M.): La vie intellecuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides, Rabat, 1974, p.423.

(٥٨) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٢٦/٢.
(٥٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٦.
(٦٠) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ٦١؛ وانظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٦.
(٦١) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٧٦.
(٦٢) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٦٣.
(٦٣) ابن القاضي: مصدر سابق، ١/ ٦٤.
(٦٤) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص ١٨٩.
(٦٥) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ٢٩٩.
(٦٦) جذوة الاقتباس، ١/ ٦٤.
(٦٧) الكتّاني: مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٦-١٣٧.
(٦٨) المقري: نفح الطيب، ٥/ ٣٤١.
(٦٩) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٧٦.
(٧٠) التنبكتي: كفاية المحتاج، ج١، ص ٣٢٤؛ الكتّاني: مصدر سابق، ٢/ ٤٤، ١٣٨، ٣/ ٧٩.
(٧١) ابن القاضي: مصدر سابق، ٢٣٩/١؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ٢/ ١٦٦.
(٧٢) القصبة في بلاد المغرب هي بناء محصَّن بأسوار متينة ومنيعة، تقابلها القلعة في بلاد المشرق، وكلمة القصبة تدل على شكل معماري الغرض منه التحصين، انظر عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دار الهلال العربية للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩٣م، ١٩٢/٥؛ عبدالعزيز صلاح سالم وآخرون: العمائر الحربية بالمغرب الأقصى (القصاب نموذجا)، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج٥، ع٢٣، سبتمبر ٢٠٢٠م، ص ٦٦٧.
(٧٣) ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، ت: ماريا بخسيوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص ٢٣٣.
(٧٤) انظر – على سبيل المثال– ما ذكره عنه ابن أبي زرع في الأنيس المطرب، ص ٢٨٥؛ الناصري: الاستقصا، ٨/٣.

(٧٥) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٤١٢-٤١٣؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ٣/ ١٠٧.
(٧٦) عبدالهادي التازي: جامع القرويين، ٢/ ٣٥٨.
(٧٧) سُمِّيت بذلك نسبة إلى مؤسسها السلطان المريني أبي عنان الذي كان يلقَّبُ بالمتوكل على الله، انظر ابن الأحمر (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٧٦م، ص ٢٠٢. وللوقوف على تفاصيل حول هذه الزاوية انظر المصدر نفسه، ٢٠٦-٢٠٩؛ محمد المنوني: منشآت مرينية بضاحية فاس الجديد، مجلة المناهل، ع١٦، ديسمبر ١٩٧٩م، ص ٢٤٢- ٢٤٩. وقد شاهد ابن بطوطة هذه الزاوية وذكر أنها "لامثيل لها لبديع صنعها، وهي أبدع زوايا المشرق والمغرب). ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م، ٤/٢٠٤.
(٧٨) ابن الحاج النميري: فيض العُباب، ص ٢٠٨؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ٧/١٧-١٨.
(٧٩) الونشريسي: مصدر سابق، ١/٢٥٥؛ عبد الهادي التازي: مرجع سابق، ٢/ ٣٦٣- ٣٦٤. ويظهر أنَّ ذلك قد دفع بعض الباحثين إلى القول :"إنَّ هذه المدرسة كانت في الواقع مسجدا جامعًا، به مئذنة، ومجهز بمنبر، لتؤدى به صلاة الجمعة، وتقام به الخطبة، لذا فهذا البناء ما هو إلا جامع يحتضن مدرسة، بها قاعدتان للتدريس، وغرف للطلبة". نصيرة عزرودي: ابتكارات مغرب أوسطية فن صناعة الساعات خلال العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع٤، سبتمبر ٢٠١٧م، ص٢٠، حاشية رقم (١).
(٨٠) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ١/ ٦٠؛ الفاسي (ت ١٣٦١هـ): الخطابة والخطباء بفاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٨٥.
(٨١) ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ١/ ٦١.
(٨٢) هو قريب علي بن أبي زرع مؤلف كتاب (الأنيس المطرب)، وكانت وفاته في بضعة عشر وسبعمائة، انظر ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٦٣-٦٤.
(٨٣) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٧٦؛ ابن الأحمر: مصدر سابق، ص ٢٦.
(٨٤) ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ١/٦١.
(٨٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٦.
(٨٦) الونشريسي: المعيار المعرب، ١/١٥٠.
(٨٧) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ١/ ٦١-٦٢.
(٨٨) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ٢٩٩، حاشة رقم (٥٨٧)؛ ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ١/ ٦٤-٦٥.
(٨٩) الونشريسي: مصدر سابق، ١/١٦٧.
(٩٠) المصدر السابق، ١/١٦٧.

(٩١) ابن مرزوق : المسند الصحيح، ص ٢٣٠-٢٣٢؛ ابن القاضي: مصدر سابق، ١/ ٦٢.
(٩٢) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.
(٩٣) المصدر السابق، ص ٢٣٣.
(٩٤) ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ج١، ص ٦٢- ٦٣.
(٩٥) المصدر السابق، ١٢٨/١؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ص ١٢٥.
(٩٦) ابن الحاج: المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ١/ ٢٧٤؛ الونشريسي: مصدر سابق، ١٣٣/١؛ عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعيَّة وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق ٦-٨هـ/١٢-١٤م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٥٣.
(٩٧) الشراط: مصدر سابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.
(٩٨) المصدر السابق، ص ٣٠٠؛ ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ج١، ص ٦٥.
(٩٩) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٦٤.
(١٠٠) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ١١٤-١١٥.
(١٠١) المصدر السابق، ٧/ ١١٥؛ الكتّاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ١٥١.
(١٠٢) الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٥٦.
(١٠٣) القومة: هم الذين يقومون بخدمة المسجد وتنظيفه وكنسه وفتحه وغلقه وخياطة حصره، انظر الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ٨٩، ١٧١.
(١٠٤) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٨٠.
(١٠٥) المصدر السابق، ص ٩٤.
(١٠٦) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ٤١.
(١٠٧) ابن الحاج: فيض العباب، ص ٢٠٨؛ الونشريسي: مصدر سابق، ١٧/٧-١٨.
(١٠٨) الونشريسي: المعيار المعرب، ٧/ ٤١-٤٢.
(١٠٩) المصدر السابق، ٧/ ٤٢.
(١١٠) ابن الوزان الزياتي: وصف إفريقيا، ٢٢٩/٢-٢٣٠.
(١١١) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٥٣-٥٤.
(١١٢) المصدر السابق، ص ٥١؛
David A. king: Three Sundials From Islamic Andalusia, Journal for the History of Arabic Sciencen ,Journal for the history of Arabic science , University of Aleppo,Syria, no 2.November 1978, p.201-202.
(١١٣) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٥٠؛ الونشريسي: مصدر سابق، ١٧١/٧.

(١١٤) محمد بن عبدالعزيز الدباغ: من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، مكتبة الأمة، الدار البيضاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١١٧.

(١١٥) نفسه.

(١١٦) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ٢/ ٤٠٤؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ١٧٦.

(١١٧) سيأتي ذكر أنَّ هذه القبة تمَّ بناؤها في عهد الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م).

(١١٨) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٥٠.

(١١٩) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالحبَّاك، فلكي له اهتمام بالإسطرلاب والحساب والهندسة، له مؤلَّف بعنوان (بغية الطلاب في علم الإسطرلاب)، كما ألف شرحاً لتلخيص ابن البناء، ذكر ابن مريم أنَّ الونشريسي قال: "إن الحباك توفي عام ٨٦٧هـ"، وأنه كان شيخ الحسابيين الفرضيين والفلكيين لمدة طويلة في بلاد المغرب الإسلامي، انظر ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨م، ص ٢١٩-٢٢٠. ولكن بمراجعة تواريخ الأحداث التي ذكرها الجزنائي فيما يخصُّ صنع الساعة المائية سنة (٦٨٥هـ)، يتضح أنَّ ابن مريم قد جانبه الصواب في نقل تاريخ وفاة الحبَّاك أو أنَّه قام- بدون قصد- بتبديل الأرقام، لتصبح (٨٦٧هـ) بدلًا من (٦٨٧هـ)، وهو التاريخ الأقرب إلى الصواب، والذي يتفق مع الأحداث التي ذكرها الجزنائي الذي كان حيًّا سنة (٧٦٦هـ)، انظر جنى زهرة الآس، ص ٥٠-٥١؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ٢/٢٢٦.

(١٢٠) جنى زهرة الآس، ص ٥٠-٥١؛ عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ٢/٣٢٢-٣٢٣.

(١٢١) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٥١.

(١٢٢) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٥١-٥٢؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣، ص ١٨٤. وللوقوف على تفاصيل أكثر حول الآيات القرآنية التي نُقشَت على منجانة ابن العربي انظر هشام فنكاشي ورشيد عابدي: الساعة المائية، مقال منشور على موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان الإلكتروني، بتاريخ ١٣ آب/غشت، ٢٠١٧م، وهو متاح على الرابط التالي:

www.anfasse.online-٣٧-١٥-٢٨-٠٨-٢٠١٧-٧٥٦١/تاريخ-و-تراث/٥٣-هوية-وتاريخ/٥٠

(١٢٣) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٥٢. ويظهر أنَّ هذه الساعة قد قد دفعت السلطان أبا عنان إلى التفكير في إنشاء ساعة مائية كبرى في أحد شوارع مدينة فاس العامة بجوار مدرسته العظيمة، تسهم في تعريف الناس بأوقات الليل والنهار، انظر عبداللطيف بن رحو: العمل الاجتماعي في عهد الدولة المرينية ١٢٤٤م-١٤٦٥م، سلسلة أطروحات ورسائل رقم ١٨، مركو فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م، ص ٤٥٢.

(١٢٤) الجزنائي: مصدر سابق ص ٥٢.

(١٢٥) الكتاني: سلوة الأنفاس، ٣/ ١٨٩.

(١٢٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٤؛ رمضان المختار رمضان: الأجباس ودورها في بلاد المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث والرابع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٩٩.

(١٢٧) رامي ربيع عبدالجواد راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس في المغرب الأقصى في العصر المريني، ص ٤١٠-٤١١؛ حسين سيد مراد: المدارس الوقفية في مدينة فاس خلال العصر المريني، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة، مج ٥٦، ٢٠٢٠م، ص ٢٢٠؛

Provencal: Notes sur six Inscriptions de Fés, p. 176.

(١٢٨) ابن الحاج النميري: فيض العباب، ص ٢٠٨. وعن وصف المسجد انظر ص ٢٠٧.

(١٢٩) حسين سيد عبدالله مراد: الأوقاف مصدرًا لدراسة مجتمع فاس، ص ٦٧؛

Bel (A.): Inscriptions Arabes de Fès, p. 120.

(١٣٠) كان أهل فاس قد بايعوا الناصر لدين الله الأموي خلال إحدى حلقات الصراع المسلَّح الذي دار بين أمويي الأندلس والفاطميين على أرض المغرب الأقصى، فولَّى أبا بكر الزناتي حاكمًا على المدينة باسم الأمويين، وقد استمرَّ هذا الوضعُ إلى أن تمكن جوهر الصقلي من دخول المدينة سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) والقبض على أبي بكر، وإعادتها إلى حظيرة الفاطميين مرة أخرى، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٠.

(١٣١) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٤٦-٤٧، ٥٠.

(١٣٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٧- ٥٨. وقد ذكر الجزنائي (مصدر سابق، ص ٥١) أنَّ قومة الجامع (القائمون على رعايته ونظافته) كانوا يجلسون أيضًا في الغرفة المذكورة، وإذا ما أضفنا هذا الخبر إلى الأخبار التي ذكرناها آنفًا من أنَّ المصادر قد أحصت أعداد المؤذنين مع القومة، تتبيَّن لنا مدى الارتباط الشديد بين وظيفة المؤذن ووظيفة القَيِّم، لدرجة أننا نرى في كثير من المساجد الآن أنَّ الوظيفتين يقوم عليهما شخص واحد. كما أرَّخ الجزنائي في الصفحة نفسها أيضا أنَّ بناء هذه الحجرة كان في سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، غير أنَّ الرجوع إلى تاريخ تولي الفقيه الخطيب محمد بن أبي الصبر أيوب لخطة القضاء يجعلنا نرجِّح التاريخ الذي ذكره ابن أبي زرع، وليس التاريخ الذي ذكره الجزنائي وأيده فيه بعض الباحثين، انظر جنى زهرة الآس، ص ٥١؛ عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية،٢/ ٣٦٩؛ عبداللطيف بن رحو: العمل الاجتماعي، ص ٤٥١.

(١٣٣) الونشريسي: المعيار المعرب، ٧/ ٨٩.

(١٣٤) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ١/ ٦٠-٦١.

(١٣٥) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ٨٩.

(١٣٦) المصدر السابق، ٧/ ٣٠١.

(١٣٧) المصدر السابق، ٧/ ١٥٥.

(١٣٨) حسين سيد عبدالله مراد: الأوقاف مصدرًا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، ص ٦٧؛ Bel (A.): Inscriptions Arabes de Fès, p. 120.

(١٣٩) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/٥، ٤١-٤٢، ١٧٠-١٧١.

(١٤٠) جنى زهرة الآس، ص ٨٥، ٩٤.

(١٤١) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ٤١٣؛ إبراهيم القادري بوتشيش والسعيد لمليح: الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن ٨هـ/١٤م (أوقاف مدينة فاس نموذجا)، مجلة عصور، العدد ١١-١٢، خريف- شتاء (فبراير) ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص ٦٣.

(١٤٢) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/١٧-١٨، ٣٦٧، ٣٦٨.

(١٤٣) المصدر السابق، ج٧، ص ٥.

(١٤٤) كان فقيها صالحا حافظا نوازليا، نسبت إليه المدرسة المصباية التي شيدها السلطان أبو الحق المريني؛ لأنه كان أول من تصدى إلى التدريس فيها، توفي بفاس سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، انظر التنبكتي: نيل الابتهاج، ص ٦٠٨-٦٠٩؛ د. عبدالهادي التازي: جاع القريين، ٢/ ٣٩٥.

(١٤٥) القومة: جمع قَيِّم، وهي من الوظائف المهمة التي لا يستغني عنها المسجد، حيث يقوم صاحبها بمهام متعددة وضرورية، كَكَنْس المسجد وفرشه، وحفظ حصيره وقناديله، وفتح باب المسجد وغلقه، وتنظيف دار الوضوء بالمسجد. ونظرا لأهمية الدور الذي يقومون به في المساجد؛ كان يفرض لهم رواتب من ريع الحبس حتى إذا لم ينص على ذلك المحبس، وذلك على اعتبار أنهم دخلوا في قصد المحبس بالتضمين؛ ولأنَّ المساجد لا تستغني عن دورهم، انظر الونشريسي: المعيار المعرب، ٧/ ٨٩، ١٧١؛ الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٨٠.

(١٤٦) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/ ١٧٠-١٧١.

(١٤٧) المصدر السابق، ٧/ ١٧٢-١٧٥؛ نبيل العابد: الحفاظ المعماري في الحضارة الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ٢٠١٠م، ص ٧٢؛

Bel (A.): Inscription Arabes de Fès, Journal Asiatique, Tom 12, Paris, 1917,P.365.

(١٤٨) الونشريسي: مصدر سابق، ٧/٤١.

(١٤٩) حسين سيد مراد: الأوقاف، ص ٦٦؛

Bel (A.): Inscriptions Arabes de Fès, p. 120.

(١٥٠) يدخل معهم في ذلك النظار والقابضون، انظر الونشريسي: مصدر سابق، ٧/٥.

(١٥١) المصدر السابق، ٧/ ٥-٦.

(١٥٢) المصدر السابق، ٧/ ٦.
(١٥٣)المصدر السابق، ٧/ ٤٢.
(١٥٤) المصدر السابق، ٧/ ٦.
(١٥٥) المصدر السابق، ٧/ ٥٧.
(١٥٦) المصدر السابق، ٧/ ٣٠٢.
(١٥٧) المصدر السابق، ٧/ ٣٠٢.
(١٥٨) المصدر السابق، ٧/ ٣٠٢.
(١٥٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٩٧.
(١٦٠) يرجع الفضل في استحداث الاحتفال بذكرى المولد النبوي وانتشاره في المغرب والأندلس إلى الفقيه أبي العبَّاس أحمد العَزْفِي (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م)، وهو أحد أمراء مدينة سبتة بالمغرب الأقصى وعلمائها الكبار- وقد ألَّف كتابًا في ذلك تحت عنوان (الدُّر المُنظَّم في المولد المُعَظَّم)، غير أنه توفي قبل أنْ يكمله، فأكمله ابنُه أبو القاسم محمد العَزْفِي. لمزيد من التفاصيل انظر المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، ١/ ٣٧٥-٣٧٦؛ مؤلف مجهول: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، ت: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢٢؛ أحمد مختار العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع ١٥، ١٩٧٠، ص ١٤٨؛ محمد علي دبور: بنو العزفي ونشاطهم العلمي في سبتة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٦٣، سبتمبر ٢٠١٤م، ص ٢١٥-٢١٦؛
Benchekroun (M.): la vie intellectuelle marocaine, p. 103.
(١٦١) ابن السكَّاك (ت ٨١٨هـ/١٤١٥م): نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، دار الإمام المخلوفي، وجدة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ص ١٣٤.
(١٦٢) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ١٥٣؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٠٩؛ موسى مريان: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي وأثر احتفاء سلاطين المغرب بالذكرى في ظهور القصائد المَوْلِدِيَّات، مجلة المقال، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥ سكيكدة، ع٨، جوان ٢٠١٩م، ص ٢٠.
(١٦٣) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص ١٥٤.
(١٦٤) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٢٦/٢.
(١٦٥) سبق التعريف به.
(١٦٦) البرد: هو البدن، انظر:
Dozy (R.): Supplement saux dictionaries arabes, Paris, 1927, v. 2, p. 58.

(١٦٧) المنديل (بفتح الميم وكسرها) استخدم في المغرب كلباس للرأس، وكان بعضُ المغاربة يضعونه على الرأس (للتعميم)، في حين وضعه آخرون على الكتف (للتدفئة)، انظر أبو العرب تميم (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م): طبقات علماء إفريقية وتونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص ٢٤٧؛ عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م، ٦١٥/٢.

(١٦٨) نوع من لباس الرجال تكون فضفاضة ومشقوقة من الأمام، وتكون بأكمام قصيرة أو بدون أكمام، انظر رينهارت دوزي: المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فضل، سلسلة المعاجم رقم (١)، طبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ص ١٥٧-١٥٨؛ محمد صقر: اللباس المغربي، ص ١٦٣.

(١٦٩) ثياب كتان بيض رقاق تُعملُ بمصر، وهي منسوبة إلى القِبْط على غير قياس، والجمع (قباطي) بضم الفاء وفتحها، انظر رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي بأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٣٧٤.

(١٧٠) نسبة إلى مدينة شاش من بلاد الترك، انظر محمد صقر: مرجع سابق، ص ١٧١.

(١٧١) نسبة إلى مدينة سوسة بالمغرب الأدنى (إفريقيَّة)، انظر المرجع السابق نفسه.

(١٧٢) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٦٣؛ الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ٣/ ١٨٩.

(١٧٣) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٦٤؛ الكتاني: مصدر سابق، ٣/ ١٨٩-١٩٠.

(١٧٤) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٥٢. ويظهر أنَّ هذه الساعة قد دفعت السلطان أبا عنان إلى التفكير في إنشاء ساعة مائية كبرى في أحد شوارع مدينة فاس العامة بجوار مدرسته العظيمة، تسهم في تعريف الناس بأوقات الليل والنهار، انظر عبداللطيف بن رحو: العمل الاجتماعي، ص ٤٥٢.

(١٧٥) عرَّف الكتاتي بمنطقة الشطة بفاس في كتابه (سلوة الأنفاس،٣/ ١٧٧) قائلًا :"وهي الكائنة فوق باب الزربطانة، يسار الطالع إلى ناحية المدرسة البوعنانية".

(١٧٦) هو أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الورياغلي، عُرِف بالأعرج؛ لأنه خرج عليه بعض اللصوص ليلا في مسجد من بلاد صدراته حين قراءته فيها؛ فأصابوا رجله، فعرج منها عرجًا شديدا، انظر المصدر السابق، ٣/ ١٧٧؛ القادري (محمد بن الطيب): الإكليل والتاج في تذليل كفاية المحتاج، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطبعة شمس، المغرب، (د.ت)، ص٢٠١.

(١٧٧) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ٢٨٩؛ الكتاني: مصدر سابق، ١٧٨/٣.

(١٧٨) التنبكتي: كفاية المحتاج، ج١، ص ٣٢٢؛ الكتاني: مصدر سابق، ٣/ ٨٠.

(١٧٩) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٩٥؛ المؤلف نفسه: درة الحجال ج٢، ص ٤١٦.

(١٨٠) المصدر السابق، ٣٢٧/٢.
(١٨١) العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٤، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م، ص ١٣٦.
(١٨٢) يسميها الأسبان معركة (ريوسالادو)، وهي حلقة من الصراع الإسلامي – النصراني على أرض الأندلس، وإحدى المعارك الكبرى التي خاضها المسلمون ضدَّ مملكة قشتالة وملكها ألفونسو الحادي عشر، والتي تحالفت فيها القوى الغرناطية بقيادة أبي الحجّاج يوسف الغرناطي مع قوى بني مرين المغربية بقيادة ابي الحسن المريني في ميدان الجهاد، وكان نتيجتها هزيمة المسلمين. للوقوف على تفاصيل هذه المعركة وأحداثها ونتائجها انظر عبد الكريم حماتيت وسامية جباري: معارك المسلمين في الأندلس- معركة طريف (ريوسالادو) ٧٤١هـ/١٣٤٠م أنموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، مج٥، ع٢، ٢٠٢١م، ص ٣٩٩-٤١٤.
(١٨٣) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٨٨/١.
(١٨٤) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ٢٨٩؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ١٧٨/٣.
(١٨٥) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ١٥٢-١٥٣.
(١٨٦) المصدر السابق، ص ١٥٣.
(١٨٧) السخاوي: الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع، ٤/ ٢٣٦.
(١٨٨) المعيار المعرب، ٢/ ٤٨٧.
(١٨٩) التنبكتي: مصدر سابق، ٣٠٣/١.
(١٩٠) أحمد زروق (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م): كتاب الكناش، ت: علي فهمي خشيم، المكتبة الزروقية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٠م، ص ٥٦.
(١٩١) نفسه
(١٩٢) الناصري: الاستقصا، ٤/ ١٠٠.
(١٩٣) نفسه.
(١٩٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٤٥٢/٢.
(١٩٥) التنبكتي: مصدر سابق، ٣٠٣/١.
(١٩٦) الناصري: مصدر سابق، ٩٨/٤.
(١٩٧) نفسه.
(١٩٨) نفسه، ٤/ ٦٩- ٩٩.
(١٩٩) نفسه، ٤/ ٩٩.
(٢٠٠) محمد بن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٤٢-٤٣.

(٢٠١) الناصري: مصدر سابق، ٤/ ٩٨؛ علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ١٦. ومدينة أصيلا: من مدن المغرب الأقصى، تقع في الشمال الغربي على ساحل المحيط الأطلسي، وهي من أقرب المدن في المغرب إلى الأندلس، استحدثها الأدارسة سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م). للوقوف على تفاصيل حولها انظر الإدريسي (ت ٥٩٩هـ/١١٦٦م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٥٣٠؛ عبد الواحد السبتي: المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٨-٣٩؛ زينة داود سالم: جوانب من مدينة أصيلا المغربية، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٨، ع٤، ٢٠٢٢م، ص ٣٧-٤٥.

(٢٠٢) الناصري: الاستقصا، ٤/٩٨.

(٢٠٣) المصدر السابق، ج٤، ص ١٠٠.

(٢٠٤) الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط٢، ١٩٧٧م، ص ٥٣.

(٢٠٥) الاستقصا، ٤/ ٩٩.

(٢٠٦) مكناس: مدينة من مدن المغرب الأقصى تقع غربي مدينة فاس، يكثر بها الزيتون، عرفت به، ولذا سُمِّيَت (مكناسة الزيتون)، انظر مؤلف مراكشي مجهول (عاش في القرن السادس الهجري): الاستبصار في عجائب الأمصار، آفاق عربية، بغداد، (د.ت)، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢٠٧) الاستقصا، ٤/٩٩.

(٢٠٨) المصدر السابق، ٤/ ص ١٠٠؛

Corcos (D.): The Jews of Morocco under the Marinides, The Jewish Quarterly Review, Published by: University of Pennsylvania Press, Vol. 55, No. 1 (Jul., 1964), p. 71.

(٢٠٩) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٢/ ٤٥٢؛ أغست كور: دولة بني وطاس (١٤٢٠-١٥٥٤م)، ترجمة: محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠١٠م، ص ٤٤-٥٤.

(٢١٠) علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية، ص ٤٠-٤١.

(٢١١) الونشريسي: المعيار المعرب، ٧/ ٣٠١.

(٢١٢) ابن الوزان الزياتي: وصف إفريقيا، ٢/٢٩٩.

(٢١٣) المصدر السابق، ١/ ٢٢٩؛ حسين سيد مراد: الأوقاف، ص ٦٣.

(٢١٤) حسين سيد عبدالله مراد: مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢١٥) ابن الوزان الزياتي: وصف إفريقيا، ٢/٢٣١.

(٢١٦) ابن الحاج النميري: فيض العباب، ص ١٦٨.

(٢١٧) الونشريسي: المعيار المعرب، ٣٠١/٧.
(٢١٨) نفسه.
(٢١٩) الوليدي: الحلال والحرام، ص ٣٢٥-٣٢٦؛ ابن الوزان الزياتي: مصدر سابق، ٢٣١/٢؛ عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعيَّة، ص ٨٨؛ محمد عيد أحمد وآخرون: تدهور الخطط الدينية وأثره خلال العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م)، مجلة الدراسات الإفريقية، مجلد (٤٤)، عدد (٣)، يوليو (٢٠٢٢م)، ص ٢٤٠.
(٢٢٠) حسين سيد عبدالله مراد: الأوقاف، ص ٦٣.
(٢٢١) الأنيس المطرب، ص ٣٨٣.
(٢٢٢) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٢٦؛ آية محمد متبولي سالم: سلطة القضاة في فاس في عصر بني مرين (٦٦٨-٨٦٨هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م)، مجلة بحوث، كلية البنات جامعة عين شمس، ع١٢، ديسمبر ٢٠٢١م، ج١ (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ص ٩٦-٧٩.
(٢٢٣) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٨٥.
(٢٢٤) الأنيس المطرب، ص ٤٠٨.
(٢٢٥) ابن الأحمر: مصدر سابق، ص ٥٠.
(٢٢٦) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ زهران مهدي بركات وآخرون: دور مؤسسة القضاء والحسبة في الحفاظ العمراني بفاس في العصر المريني (٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٩٦-١٤٦٥م)، مجلة الدراسات الإفريقية، كلية الدراسات العليا بجامعة القاهرة، مج٤٥، ع٣، يوليو ٢٠٢٣م، ٨٢/٢.
(٢٢٧) ابن الأحمر: مصدر سابق، ص ٤٤.
(٢٢٨) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ٢/ ٥٠٢؛ التنبُكتي: كفاية المحتاج، ١/ ٣١٩.
(٢٢٩) الكتاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ٢١٥.
(٢٣٠) المسند الصحيح، ص ٢٣٠.
(٢٣١) وصف إفريقيا، ٢٣٠/٢.
(٢٣٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٢٣٩/١؛ وانظر الكتاني: مصدر سابق، ١٣٨/٢.
(٢٣٣) نيل الابتهاج، ١٦٦/٢.
(٢٣٤) إبراهيم القادري بوتشيش والسعيد لمليح: الوقف العلمي بالمغرب الأقصى، ص ٦٣.
(٢٣٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ٨٨/١؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ٨٨/١.
(٢٣٦) إبراهيم القادري بوتشيش والسعيد لمليح: الوقف العلمي بالمغرب الأقصى، ص ٦٣.
(٢٣٧) عن معالم بناء هذه المدرسة وزخارفها انظر عولمي محمد لخضر: الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين دراسة تحليلية ومقارنة، رسالة دكتوراه بقسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٣م، ص ١٥٠ وما بعدها.

(٢٣٨) التنبكتي: مصدر سابق، ٣٠٢/٢؛ المؤلف نفسه: كفاية المحتاج، ٢٤٤/٢.
(٢٣٩) ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ١٢٨/١؛ التنبكتي: مصدر سابق، ١٣١/١.
(٢٤٠) الكتاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ١٥٤.
(٢٤١) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ١٩٦.
(٢٤٢) التنبكتي: مصدر سابق، ٢٧٢/٢.
(٢٤٣) المصدر السابق، ١/ ٢٥٢.
(٢٤٤) ابن القاضي: مصدر سابق، ٢/ ٤٥٢.
(٢٤٥) ميورقة: من بلاد شرق الأندلس. للوقوف على تفاصيل موقعها، وجهود المسلمين في فتحها، وتاريخها بعد ذلك انظر المخزومي (ت ٦٥٨هـ): تاريخ ميورقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢٥-٤٠؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٠٧؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٥٦٧.
(٢٤٦) الكتاني: مصدر سابق، ٣/ ١٧٩.
(٢٤٧) التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٧٨/١؛ الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٣٨.
(٢٤٨) الونشريسي: المعيار المعرب، ١٤٣/١.
(٢٤٩) المصدر السابق، ٢٠٥/٦؛ ابن القاضي: مصدر سابق، ٥٠٢/٢.
(٢٥٠) الونشريسي: مصدر سابق، ٨٩/٧؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ٣٣٤/١.
(٢٥١) انظر الكتاني: مصدر سابق، ١٣٨/٢.
(٢٥٢) ابن القاضي: مصدر سابق، ٢٤٠/١؛ الونشريسي: مصدر سابق، ٥٧/٧، ٣٠١.
(٢٥٣) الكتاني: مصدر سابق، ١٧٨/٣.
(٢٥٤) الشراط: الروض العطر، ص ١٧٥؛ الكتاني: مصدر سابق، ٣/ ٨١.
(٢٥٥) الشراط: مصدر سابق، ص ١٧٥-١٧٦؛ ابن القاضي: مصدر سابق، ٢/ ٤٩٥.
(٢٥٦) التنبكتي: كفاية المحتاج، ١/ ٣١٩.
(٢٥٧) الكتاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ٢١٥.
(٢٥٨) السخاوي: الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع، ١١/ ١٤٠.
(٢٥٩) التنبكتي: نيل الابتهاج، ١٣٠/١.
(٢٦٠) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرا، ص ٥٠.
(٢٦١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٢٦٣.
(٢٦٢) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ٢٩٨.
(٢٦٣) الكتاني: مصدر سابق، ١٣٧/٢.
(٢٦٤) ابن السكَّاك: نصح ملوك الإسلام، ص ١٣٤؛ المقري: نفح الطيب، ٣٤٩/٥-٣٥٠؛

الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٥٣.

(265) الكتب الخمسة المؤلفة في غير مجال التخصص هي: الرسائل الكبرى، والرسائل الصغرى، والأدعية المرتبة على الأسماء الحسنى، وترجيز الحكم، والتنبيه المعروف بالشرح، انظر الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٥٢-١٥٣.

(٢٦٦) الشراط: الروض العطر الأنفاس، ص ١٩٨.

(٢٦٧) المصدر السابق، ص ٢٠١؛ الكتاني: مصدر سابق، ١٥٢/٢.

(٢٦٨) نقلًا عن الكتاني: سلوة الأنفاسمصدر سابق

(٢٦٩) الزبادي الإدريسي (ت ١١٦٣هـ): إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عبَّاد، مطبعة آنفو – برانت، فاس، ٢٠٠٦م، ص ٤.

(٢٧٠) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني، ص ٣٤٧.

(٢٧١) الكتاني: مصدر سابق، ٢/ ١٧٦.

(٢٧٢) التنبكتي: كفاية كفاية المحتاج، ٢٧٤/١؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ٢/ ١٧٦؛

David A. King: In Synchrony with the Heavens, Volume One (The Call of the Muezzin), Leiden– Boston, 2004, p. 434.

قائمة المصادر والمراجع

- **أولًا: المصادر:**

١- أحمد زروق (ت ٨٩٩هـ/١٤٩٣م): **كتاب الكناش**، ت: علي فهمي خشيم، المكتبة الزروقية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان،١٩٨٠م.

٢- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥): **بيوتات فاس الكبرا**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

٣- _____: **مثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، ت: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٧٦م.

٤- الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد، ت ٥٩٩هـ/١١٦٦م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٥- ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): **تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ت: عبدالهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م.

٦- البكري (ت ٤٨٧هـ): **المسالك والممالك**، الجزء الثاني، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر ، ت ١٠٣٦هـ): **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دراسة وتحقيق: الأستاذ محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨- _____: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠م.

٩- الجزنائي (أبو الحسن علي، كان حيا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥م): **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، ت: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٠- ابن الحاج (إبراهيم بن عبد الله بن النميري، ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م): **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب**، ت: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١١- ابن الحاج (محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، ت٧٣٧هـ): **المدخل**، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

١٢- الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

١٣- الزبادي الإدريسي (عبد المجيد بن علي، ت ١١٦٣هـ): **إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عبَّاد**، مطبعة آنفو – برانت، فاس، ٢٠٠٦م.

١٤- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

١٥- _____: **الزخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

١٦- الزهري (أبو عبد الله محمد، ت أواسط القرن ٦هـ/١٢م): **كتاب الجغرافيا**، ت: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

١٧- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، ت ٩٠٢هـ/١٤٢٧م): **الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٨- ابن السكَّاك (محمد بن أبي غالب، ت ٨١٨هـ/١٤١٥م): **نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام**، ت: د. نزيهة المردني العلمي الإدريسي، دار الإمام المخلوفي، وجدة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

١٩- الشراط (أبو عبدالله محمد بن عيشون، ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م): **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: ٣٥، ١٩٩٧م.

٢٠- الشفشاوني (محمد بن عسكر الحسيني): **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، ت: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب

للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط٢، ١٩٧٧م.
٢١- أبو العرب تميم (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م): **طبقات علماء إفريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
٢٢- العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج٤، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.
٢٣- عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك**، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.
٢٤- الفاسي (عبد الواحد بن عبدالسلام، ت ١٣٦١هـ): **الخطابة والخطباء بفاس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥م.
٢٥- القادري (محمد بن الطيب): **الإكليل والتاج في تذليل كفاية المحتاج**، دراسة وتحقيق: مارية دادي، مطبعة شمس، المغرب، (د.ت).
٢٦- ابن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥هـ): **جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.
٢٧- _____: **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، نُشِر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، ت: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.
٢٨- الكتاني (أبو عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس، ت ١٣٤٥هـ): **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٩- الكتَّاني (محمد عبد الحي، ت ١٣٨٢هـ): **نظام الحكومة النبوية المُسَمَّى التراتيب الإدارية**، ت: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢، (د.ت).
٣٠- المالكي (أبو بكر عبدالله بن محمد، ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيَّة وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣١- المخزومي (أبو المطرف أحمد بن عميرة، ت ٦٥٨هـ): **تاريخ ميورقة**، ت: د. محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٣٢- ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، ت: ماريا بخسيوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.
٣٣- ابن مريم: **البستان في ذكر الأولياء بتلمسان**، ت: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨م.
٣٤- المقري التلمساني (شهاب الدين أبوالعباس أحمد، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): **أزهار الرياض في أخبار عياض**، الرباط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣٥- _____: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب**، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٣٦- مؤلف مجهول: **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب**، ت: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٧- مؤلف مراكشي مجهول (عاش في ق٦هـ/١٢م): **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد، آفاق عربية، بغداد، (د.ت).
٣٨- الناصري (أحمد بن خالد): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣٩- ابن الوزَّان الزَّيَّاتي: **وصف إفريقيا**، طبعة مكتبة الأسرة المصرية، ٢٠٠٥م.
٤٠- الوليدي (أبو الفضل راشد بن أبي راشد، ت ٦٧٥هـ): **الحلال والحرام**، ت: عبدالرحمن العمراني الإدريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٤١- الوَنْشَرِيسي (أحمد بن يحيى، ت ٩١٤هـ): **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرّجه: مجموعة من العلماء

بإشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **ثانيًا: المراجع:**

٤٢- إحسان حقي: **تونس العربية**، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

٤٣- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: **معلمة المغرب**، نشر مطابع سلا، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٤٤- حسين سيد عبدالله مراد: **الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني**، الزهراء كمبيو سنتر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٥- رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي بأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، دار الآفاق العربية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٦- رينهارت دوزي: **المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب**، ترجمة: أكرم فضل، طبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

٤٧- شارل أندري جُوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م.

٤٨- عبد الهادي البياض: **الكوارث الطبيعيَّة وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق ٦-٨هـ/١٢-١٤م)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤٩- عبداللطيف بن رحو: **العمل الاجتماعي في عهد الدولة المرينية ١٢٤٤م-١٤٦٥م**، سلسلة أطروحات ورسائل رقم ١٨، مركو فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.

٥٠- عبدالهادي التازي: **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، دار نشر المعرفة، الرباط، ط٢، ٢٠٠٠م.

٥١- عبد الواحد السبتي: **المدينة في العصر الوسيط**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٥٢- عثمان عثمان إسماعيل: **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**، دار الهلال العربية للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩٣م.
٥٣- علي فهمي خشيم: **أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
٥٤- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزائر، ط٢، ١٩٩٨م.
٥٥- لوتورنو: **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة: نقولا زياده، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧م.
٥٦- محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠م.
٥٧- محمد بن شقرون: **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٥٨- محمد بن عبدالعزيز الدباغ: **من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني**، مكتبة الأمة، الدار البيضاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٥٩- محمد صقر: **اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي**، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٦٠- محمد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني (٦١٠هـ/١٢١٣م) – (٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٦١- محمد مزين: **فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي**، سلسلة رسائل وأطروحات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨٦م.
٦٢- نبيل العابد: **الحفاظ المعماري في الحضارة الإسلامية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، ٢٠١٠م.
٦٣- هاشم العلوي القاسمي: **مجتمع المغرب الأقصى**، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

• **ثالثًا: الرسائل العلمية:**

٦٤- رامي ربيع عبدالجواد راشد: **عمارة المساجد بمدينة فاس في المغرب الأقصى في العصر المريني ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩- ١٤٦٤م دراسة آثارية معمارية فنية**، رسالة دكتوراة بقسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٦م.

٦٥- رمضان المختار رمضان: **الأجباس ودورها في بلاد المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث والرابع عشر الميلاديين**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.

٦٦- عولمي محمد لخضر: **الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين دراسة تحليلية ومقارنة**، رسالة دكتوراه بقسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٣م.

• **رابعًا: الدوريات العلمية:**

٦٧- آية محمد متبولي سالم: **سلطة القضاة في فاس في عصر بني مرين (٦٦٨-٨٦٨هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م)**، مجلة بحوث، كلية البنات، جامعة عين شمس، ع١٢، ديسمبر ٢٠٢١م، ج١ (العلوم الإنسانية والاجتماعية).

٦٨- إبراهيم القادري بوتشيش والسعيد لمليح: **الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال القرن ٨هـ/١٤م (أوقاف مدينة فاس نموذجا)**، مجلة عصور، العدد ١١-١٢، خريف- شتاء (فبراير) ٢٠١٣-٢٠١٤م.

٦٩- أحمد رمزي: **دور الوقف في العمران والتكافل الاجتماعي في تاريخ فاس**، بحث منشور ضمن كتاب (فاس في تاريخ المغرب) الصادر عن ندوة لجنة التراث والقيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، القسم الأول، فاس ١٨-٢٠ دجنبر ٢٠٠٨م.

٧٠- أحمد مختار العبادي: **الأعياد في مملكة غرناطة**، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ع ١٥، ١٩٧٠.

٧١- أغست كور: **دولة بني وطاس (١٤٢٠-١٥٥٤م)**، ترجمة: محمد فتحة،

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠١٠م.
٧٢-حسين سيد مراد: **المدارس الوقفية في مدينة فاس خلال العصر المريني،** المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة، مج٥٦، ٢٠٢٢م.
٧٣- زهران مهدي بركات وآخرون: **دور مؤسسة القضاء والحسبة في الحفاظ العمراني بفاس في العصر المريني،** مجلة الدراسات الإفريقية، كلية الدراسات العليا بجامعة القاهرة، مج٤٥، ع٣، ج٢، يوليو ٢٠٢٣م.
٧٤- زينة داود سالم: **جوانب من مدينة أصيلا المغربية،** مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مج٣٨، ع٤، ٢٠٢٢م.
٧٥- عبدالعزيز صلاح وآخرون: **العمائر الحربية بالمغرب الأقصى (القصاب نموذجا)،** مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج٥، ع٢٣، سبتمبر ٢٠٢٠م.
٧٦- عبد الكريم حماتيت وسامية جباري: **معارك المسلمين في الأندلس- معركة طريف (ريوسالادو) ٧٤١هـ/١٣٤٠م أنموذجا،** المجلة التاريخية الجزائرية، مج٥، ع٢، ٢٠٢١م.
٧٧- عبدالسلام بنسودة: **حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس،** دعوة الحق، ع١، السنة الرابعة عشرة،٧٧- يناير ١٩٧١م.
٧٨- محمد علي دبور: **بنو العزفي ونشاطهم العلمي في سبتة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين،** مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٦٣، سبتمبر ٢٠١٤م.
٧٩- محمد عيد أحمد وآخرون: **تدهور الخطط الدينية وأثره خلال العصر المريني الثاني (٧٥٩-٨٦٩هـ/١٣٥٨-١٤٦٥م)،** مجلة الدراسات الإفريقية، مج٤٤، ع٣، يوليو (٢٠٢٢م).
٨٠- محمد المنوني: **منشآت مرينية بضاحية فاس الجديد،** مجلة المناهل، ع١٦، ديسمبر ١٩٧٩م.
٨١- مها صابر وآخرون: **المسجد الكبير بمدينة فاس الجديد من عصر الدولة**

المرينية (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) دراسة تاريخية أثرية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، مج٢١، ع٣، ديسمبر ٢٠٢١م.

٨٢- موسى مريان: **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي وأثر احتفاء سلاطين المغرب بالذكرى في ظهور القصائد المَوْلِدِيَّات**، مجلة المقال، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥ سكيكدة، ع٨، جوان ٢٠١٩م.

٨٣- نصيرة عزرودي: **ابتكارات مغرب أوسطية فن صناعة الساعات خلال العصر الوسيط**، المجلة التاريخية الجزائرية، ع٤، سبتمبر ٢٠١٧م.

- **خامسًا: المواقع الإلكترونية:**

٨٤- هشام فنكاشي ورشيد عابدي: **الساعة المائية**، مقال منشور على موقع أنفاس من أجل الثقافة والإنسان الإلكتروني، بتاريخ ١٣ آب/غشت، ٢٠١٧م، وهو متاح على الرابط الآتي:

www.anfasse.online-٢٠١٧-٧٥٦١/تاريخ-و-تراث/٥٣-هوية-وتاريخ/٠٨-٢٨-١٥-٣٧-٥٠

- **سادسًا: المراجع الأجنبية:**

85- Bel (A.): **Inscription Arabes de Fès**, Journal Asiatique, Tom 12, Paris, 1917.

86- Benchekroun (M.): **La vie intellecuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides**, Rabat, 1974.

87- Corcos (D.): **The Jews of Morocco under the Marinides**, The Jewish Quarterly Review, Published by: University of Pennsylvania Press, Vol. 55, No. 1 (Jul., 1964).

88- David A. King: **In Synchrony with the Heavens**, Volume One (The Call of the Muezzin), Leiden- Boston, 2004.

89- Dozy (R): **Supplement saux dictionaries arabes**, Paris, 1927. □

90- Maslow (B.): **Les Mosquées de Fès et du nord du Maroc**, Paris, Les éditons d'art et d'histoire, 1937.

91- Provencal (l.): **Notes sur six Inscriptions de Fés et de Taza,dane Livre**, **Les Mosquées de Fés et du Nord Maroc**,Paris,1937.

* * *